جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

التسامح منهج حياة

إشراف وتقديم ومشاركة

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(سورة هُود : ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديـــم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فإن التسامح خُلقٌ أصيلٌ في ديننا، وفي ثقافتنا، وفي تكويننا وفطرتنا؛ فكتاب ربنا (عز وجل) يدعو إلى العفو والتسامح ، حيث يقول سبحانه : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ (الأعراف ، الآية : ١٩٩)، ويقول سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ (الفرقان، الآية:٦٣)، ويقول سبحانه : ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور، الآية:٢٢)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ

كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت الآيتان:٣٤، ٣٥)، ويقول نبينا ﷺ : "رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى" (صحيح البخاري)، ويقول ﷺ: "دخل رجل الجنةَ بسماحَتِه ، قاضيًا ومُتَقَاضيًا" (مسند أحمد)، ويقول ﷺ: "إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"(صحيح مسلم)، ويقول ﷺ: "اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ"(صحيح مسلم).

مع تأكيدنا على أن تحديد المصطلحات وبيان مفهومها بمنتهى الدقة أمر في غاية الأهمية ، فتحت مسمى الالتزام والأحوط والاحتياط فتحت أبواب التشدد التي ساقت وجرفت الكثيرين في طريق التطرف ، حتى ظن الجاهلون أن التحوط في الدين يقتضي الأخذ بالأشد، وأن من يتشدَّد أكثر هو الأكثر تدينًا وخوفًا من الله (عز وجل)، مع أن الإسراع في التحريم دون تيقن ودليل قاطع أمر

يُحسنه الجاهلون والمتطرفون، أما الفقه الحقيقي فهو رخصة من ثقة، وهو التيسير بدليل ، وهو السماحة بيعًا وشراء ، وقضاء واقتضاء، وإيمانًا بحق التنوع والاختلاف ، ولم يقل أحد من أهل العلم المعتبرين إن الفقه هو التشدد؛ ذلك لأن الله (عز وجل) يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة، الآية:١٨٥)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج، الآية: ٧٨).

وعلينا أن نجعل التسامح منهج حياة لنا في تعاملنا مع الآخر، في قبوله ، في احترامه ، في إنصافه ، وكذلك في بيعنا وشرائنا وتقاضينا وسائر جوانب حياتنا.

وفي هذا الكتاب نتناول موضوع "التسامح منهج حياة" من خلال مجموعة مختارة من الأبحاث المتميزة ، التي قدمها نخبة من كبار العلماء والمفكرين لمؤتمري المجلس الأعلى للشئون الإسلامية "السادس عشر، والثاني والثلاثين"، مع مشاركتي في هذا الكتاب بمبحث خاص عن "المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية" بما

يبرز إجماع الشرائع السماوية على جملة كبيرة من القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية التي تُعدُّ أساسًا للتسامح والتعايش الإنساني المشترك ، سائلًا المولى (عز وجل) أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجزي كل من أسهم فيه ببحث أو جهد خير الجزاء.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

التسامح الإسلامي
في نصوص الشرع الشريف(*)

تعرَّض القرآن الكريم لوحدة المنبع الإنساني ونشأة الإنسانية في آيات متعددة ، وبألوان مختلفة من التعبير، ومن ذلك قصة خلق آدم أبي البشر وأصل الإنسانية ، يقـول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(١).

(*) أ.د/ علي جمعة محمد عبد الوهاب ، المفتي السابق لجمهورية مصر العربية.

(١) البقرة، الآيات: ٣٠-٣٣.

فالبشر جميعهم عائلة واحدة ، وقد وضع القرآن الكريم قواعد واضحة للعائلة البشرية ، وأعلن أن الناس جميعًا خلقوا من نفس واحدة، مما يعني وحدة الإنسان ، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، والناس جميعًا في نظر الإسلام هم أبناء تلك العائلة الإنسانية ، وكلهم لهم الحق في العيش والكرامة دون استثناء أو تمييز، وهم جميعًا ورثة في إعمار الأرض ونشر الأمن والسلام ؛ فالإنسان مكرَّم في الإسلام دون النظر إلى دينه ، أو لونه ، أو جنسه ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

---

(١) النساء، الآية: ١.

(٢) الإسراء، الآية: ٧٠.

وما اختلاف البشرية في أجناسها ، ولغاتها ، وثقافاتها إلا آية من الآيات الدالة على عظيم قدرة الخالق سبحانه ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[1]، وهذا الاختلاف لا يجوز أن يكون سببًا في التنافر والعداوة ، بل يجب أن يكون سببًا للتعارف والتلاقي على الخير والمصلحة المشتركة ، فالله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾[2]، ولم ينظر القرآن الكريم لغير المسلمين نظرة انتقاص وإن خالفوا ، فلم يأمر الحق سبحانه بإكراه من لا يدين بالإسلام بل قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[3]، أي: لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بيِّنٌ واضح ، جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلى أن يُكْرَه أحدٌ على الدخول فيه.

---

(١) الروم، الآية: ٢٢.

(٢) الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) البقرة، الآية: ٢٥٦.

وأما القاعدة التي وضعها القرآن الكريم في التعامل مع غير المسلمين، فتتمثل في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، فالآية واضحة في أننا نحن المسلمين عندما لا يرغب غير المسلمين أن ينضموا إلى ديننا فعلينا صلتهم، والعدل معهم ، ومعاملتهم المعاملة الطيبة، بناء على مبدأ الاحترام المتبادل ، والعلاقات الطيبة ، والمصالح المشتركة.

إن كل من طالع تراث الحضارة الإسلامية عبر تاريخها المشرق المشرف - وكان يتسم بالحياد والنزاهة - تَقرَّر عنده بوضوح أن الدين الإسلامي هو دين الرحمة والسماحة بأسمى معانيهما ومنتهى درجاتهما ، فالتسامح هو ثمرة الإيمان ، ودليل أكيد على الزهد في حطام الدنيا الفانية ، والرغبة في القرب من رب العالمين.

تعريف التسامح:

التسامح في لغة العرب من السماح والسماحة، أي: الجود.

---

(١) الممتحنة، الآية: ٨.

وسمح له، أي: أعطاه. والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا. والإسماح لغة: السماح، يقال: سمح وأسمح، إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء. وقيل: سمح لي بذلك يسمح سماحة وأسمح وسامح، وافقني على المطلوب. وقولهم: الحنيفية السمحة، ليس فيها ضيق ولا شدة.

ويطلق التسامح ويراد به بعض المعاني القريبة منه، مثل: الرحمة وتعني الرقة والتعطف، ومثل: العفو وله عدة معانٍ، منها: إسقاط الذنوب، وكذا الذهاب والطمس والمحو، ويستعمله الفقهاء غالبًا بمعنى الإسقاط والتجاوز، ومثل: المغفرة، وهي من الستر، ومثل: الصلح، ويسمى التسامح صلحًا باعتبار أنه يدفع إلى الصلح، والصلح أعم من العفو، ومثل: الصفح، وهو ترك المؤاخذة.

آيات التسامح المتعلقة بالنبي ﷺ:

النبي محمد ﷺ هو رمز هذه الأمة الإسلامية، وهو النموذج الفريد الذي يسعى كل المسلمين إلى التشبه به ظاهرًا وباطنًا، قال

عنه الحق سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، وفي هذا البيان القرآني البليغ، وقد ساقه الله تعالى سياق الخبر الذي تحلَّى بأقوى أساليب الحصر والقصر، فالله سبحانه وتعالى يثبت أن إرساله ﷺ رحمة ، وينفي كل الأغراض التي تتعارض مع هذه الرحمة ، والتي قد يتوهم المشككون أنه قد أرسل من أجلها.

وإن لم يكن من القرآن الكريم غير هذه الآية العظيمة في معنى سماحة الإسلام لكفت، ولكن الله سبحانه أكد هذا المعنى العظيم بأكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[2]، وهذه الآية خطاب من الله تعالى إلى النبي ﷺ وأتباعه في كل عصر، فأمره الله تعالى بالصفح وترك المؤاخذة ، وهذا الأمر يشمل نهيه عن الانتقام والمؤاخذة ، وقرن الله تعالى الصفح بقول سلام ، والسلام هو الأمل المنشود الذي سعى إليه المسلمون عبر تاريخهم سعيًا صادقًا، ورغم أن الله تعالى أمره صراحة بالصفح في الآية السابقة

(١) الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) الزخرف، الآية: ٨٩.

إلا أنه تعالى أراد أن يؤكد على هذا الأمر ويزيده جمالًا فقال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[1]، فبيَّن ربنا سبحانه أن الصفح المراد ليس مطلق الصفح ، بل صفح مخصوص وهو الصفح الجميل، الصفح الذي به جمال وكرم ، يقول الطبري في تفسيره : فأعرض عنهم إعراضًا جميلًا، واعف عنهم عفوًا حسنًا [2].

ومن آيات التسامح الإسلامي المتعلقة بجناب النبي الأعظم ﷺ قوله جلَّ اسمه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[3]، فالله تعالى أمر نبيه ﷺ بأخذ العفو وقبول اليسير من الناس ، وألا يشدد عليهم ، وأمره كذلك بالإعراض عن الجاهلين وعدم مؤاخذتهم ، تأكيدًا على معنى الصفح والحلم والسماحة، وهذا توجيه للأمة الإسلامية جميعها في كل عصورها.

والخلق المنشود لا يصير سلوكًا بمجرد الأمر والنهي، وإنما

---

(١) الحجر، الآية: ٨٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٤/ ٥١.

(٣) الأعراف، الآية: ١٩٩.

بالفعل والعمل؛ ولذلك قالوا: (عمل الرجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل)، والله تعالى على جلال قدره وعظيم قوته تعامل معنا بالرحمة والصفح والعفو.

وفي هذا التوجيه الرباني يأمر سبحانه أحب خلقه إليه بأن يتعامل مع أصحابه كذلك، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1]، فبعد أن أخبر سبحانه أن لين النبي ﷺ رحمة من الله بأتباعه أمره مع ذلك اللين أن يعفو عن أصحابه ، فكانت رحمة بعد رحمة ، ورحمة على رحمة ، وهذا كله حتى يعلِّم أصحابه الرحمة واللين والرفق.

ولم يقتصر أمر الله تعالى لحبيبه ومصطفاه ﷺ بالرحمة والعفو مع أصحابه وأتباعه فحسب ، بل أمره الله تعالى بأن يسلك نفس المسلك في الرحمة مع غير المسلمين ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن

(١) آل عمران، الآية: ١٥٩.

مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[1]، وكأن الله تعالى يريد أن يقول لنبيه ﷺ لا تعاملهم بمعاملتهم حتى وهم ينقضون الميثاق مع ربهم ويحرفون كلامه لمصالحهم الدنيوية، بل اعف عنهم واصفح، ولا غرو فإنه ﷺ على خلق عظيم.

بل أمر الله سبحانه نبيه ﷺ صراحة أن يقابل السيئة بالحسنة، فقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[2]، وهنا أعلم الله تعالى نبيه لما يكون من فائدة العفو والتسامح والدفع بالتي هي أحسن من سلام اجتماعي، حتى يصبح العدو كالولي الحميم ، فما أجملها من صورة سعى إليها الإسلام ودعا إليها في منهجه، وطبقها المسلمون عبر تاريخهم المشرق .

---

(١) المائدة، الآية: ١٣ .

(٢) فصلت، الآية: ٣٤.

آيات تدعو كل المسلمين للتسامح:

كانت توجيهات القرآن الكريم للأمة الإسلامية بالتسامح والعفو واضحة، ليس بين أفراد المجتمع الإسلامي فحسب بل مع مَن يؤذونهم من المشركين، حيث أمـر الله تعالى المؤمنين أن يغفروا لغير المسلمين ما يلاقوه من الأذى، وهذا سموٌّ أخلاقيٌّ ما له نظير بين أمم البشر.

ولعل قائلًا يقول: إنهم كانوا يتسامحون مع الذين يؤذونهم لأنهم ليس لهم شوكة ولا قوة، فالجواب: لو أن المسألة مسألة ضعف، لقال الله لهم : اصبروا حتى تتمكنوا، ولكنه قال: اعفوا واغفروا واصفحوا، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1].

ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى بالدفع بالتي هي أحسن وبيان فوائده، وكون ذلك مع الذين يريدون أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم

(١) الجاثية، الآية: ١٤.

مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

وامتدح الله تعالى المؤمنين الذين يحافظون على طاعة الله وإذا ما وقعوا في المعصية يرجعون من قريب، كما امتدحهم بأنهم يتسامحون إذا ما هم غضبوا فقال جل اسمه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾[2]، وامتدح الله تعالى الصابرين على الأذى والتاركين للانتقام لأنفسهم بصيغة تحثُّ على الترغيب في العفو والتسامح، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[3].

كذلك امتدح الله عباده الذين اجتمعت فيهم خصال الخير، من الإنفاق في سبيل الله ، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس جميعهم،

---

(١) البقرة، الآية: ١٠٩.

(٢) الشورى، الآية: ٣٧.

(٣) الشورى، الآية: ٤٣.

فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وتتعدد أساليب الدعوة إلى العفو في القرآن الكريم، فتارة تكون بصيغة الأمر، وتارة بصيغة مدح من يعفو، وأخرى بالتذكير بأن الثواب من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

ثم يؤكد المولى سبحانه نفس المعنى من أن جزاء المغفرة غفرانًا وجزاء الإحسان إحسانًا ، وإن كان سياق هذه الآية في صيغة الشرط، فيقول عز من قائل: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

ويستمر القرآن الكريم في بيان أن أفضل الأخلاق هو التسامح وترك المؤاخذة، وفي هذا السياق القرآني الكريم يبين المولى سبحانه أن

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) النور، الآية: ٢٢.

(٣) التغابن، الآية: ١٤.

العفو أجره لا يعلمه إلا الله؛ مما يفيد عظيم الثواب كما في ثواب الصائم، قال سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، بل إن القرآن الكريم يدعو ولي الدم للعفو عن القاتل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[2]، ورب العالمين يبين أن هذا الخلق هو تخفيف من الله تعالى ورحمة منه ، فعلى عباد الله الصادقين المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق الجمال من ربهم، ويتعلقوا بأخلاق الجلال من ربهم.

التسامح في السنة يقرر حقيقة مكارم الأخلاق:

أخبر الرسول الكريم ﷺ أن ربه سبحانه أرسله ليحقق به كمال الأخلاق، ويتم به مكارمها ، وهذا المعنى لم يكن مستنبطًا من الأحاديث بقدر ما كان صريحًا في أقواله ﷺ ، فعن أبي هريرة (رضي

---

(١) الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) البقرة، الآية: ١٧٨.

الله عنه) قال: قال رسول الله :«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[1]، قال صاحب فيض القدير: إن المتأمل في الجنس البشري يدرك تمام الإدراك وحدة أصله ووحدة مصيره[2].

وقد أخبرنا رسولنا المصطفى ﷺ أن الأمة كلها مبعوثة من ربها، وأن الله تعالى ابتعث هذه الأمة للتيسير على عباده ، وليس للتعسير عليهم ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ: «فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[3].

أما عن مسألة التسامح والعفو خاصة فقد امتلأت كتب السنة بالأحاديث الداعية للتسامح والعفو، فأرشد النبي العظيم ﷺ أمته إلى التحلي بالتسامح في معاملاتهم كلها ، سواء أكانت هذه المعاملات مع المسلمين أم مع غير المسلمين، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٨٩٥٢.

(٢) فيض القدير للحافظ المناوي، ٢/ ٥٧٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطهارة، باب الوضوء، حديث رقم: ٢٢٠.

عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[1]، ويشهد لهذا الحديث أيضًا ما رواه سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : «أَدْخَلَ اللهُ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا، بَائِعًا وَمُشْتَرِيًا»[2].

وبيَّن النبي ﷺ أن الدين الإسلامي سمح وسهل ويسير، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قيل لرسول الله ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: «الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[3].

وأمر رسولنا الكريم ﷺ المسلم أن يسمح ويتسامح حتى يسمح الله معه ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْمَحْ، يُسْمَحْ لَكَ»[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء، حديث رقم: ٢٠٧٦.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب السماحة في البيع، حديث رقم: ٢٢٠٢.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ٢١٠٧.

(٤) مسند أحمد، حديث رقم ٢٢٣٢.

كما بين النبي ﷺ أن السماحة إذا انتشرت بينهم فإن الحياة أفضل لهم ، ونستطيع أن نقول: إن النبي ﷺ وضع دستور الإصلاح الداخلي في الدولة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»[1].

ولم يقتصر النبي ﷺ في دعوته للأمة بالتسامح على الإرشاد بالكلام فحسب ، بل ضرب النبي المصطفى ﷺ أروع أمثلة التسامح والحلم، ليعلم أصحابه والمؤمنين من بعده والعالم بأسره كيف يتسامح الإنسان مع أخيه الإنسان ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي

(١) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب منه، حديث رقم: ٢٢٦٦.

عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[1].

قال الإمام النووي (رحمه الله) بعد أن ذكر هذا الحديث: «فيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم ودفع السيئة بالحسنة، وإعطاء من يتألف قلبه ، والعفو عن مرتكب كبيرة لا حد فيها بجهله، وإباحة الضحك عند الأمور التي يتعجب منها في العادة، وفيه كمال خلق رسول الله ﷺ وحلمه وصفحه الجميل»[2].

وعن عائشة (رضي الله عنها): أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الخمس، حديث رقم: ٣١٤٩.

(٢) شرح مسلم للنووي، ٧/ ١٤٧.

أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»(١).

كما أرشد رسول الله ﷺ إلى الاهتمام بالسماحة والجمال حتى في الصوت والآذان ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال لأحد مؤذنيه: «إِنَّ الْأَذَانَ سَهْلٌ سَمْحٌ، فَإِنْ كَانَ أَذَانُكَ سَمْحًا سَهْلًا وَإِلَّا فَلَا تُؤَذِّنْ»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين.، حديث رقم ٣٢٣١، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، حديث رقم ١٧٩٥.

(٢) رواه الدار قطني في سننه، كتاب الصلاة، باب تخفيف القراءة لحاجة، حديث رقم: ١٨٧٧.

وطالما حثَّ النبي المصطفى ﷺ أُمته على العفو والتسامح في أكثر من حديث، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَلَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزًّا، وَلَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ لله إِلَا رَفَعَهُ اللهُ»[1].

وقد أخبر المصطفى ﷺ أن أفضل أخلاق أهل الدنيا على الإطلاق هو خلق العفو، وكأنه ﷺ ينوع أساليب الحث والترغيب في هذا الخلق الكريم؛ فعن عبد الله بن أبي الحسين (رضي الله عنه) قال: رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى خَيْرِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ مَنْ عَفَا عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَأَعْطَى مَنْ حَرَمَهُ وَوَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُزَادَ لَهُ فِي مَالِهِ فَلْيَتَّقِ الله رَبَّهُ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[2].

وكان ﷺ يرغب صاحب الحق في القصاص في العفو ، فعن

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٧٢٠٦.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم: ٣٥٦٥٢.

أنس (رضي الله عنه) قال: ما رأيت النبي ﷺ رفع إليه شيء فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو[1].

وكان من أساليب حثه ﷺ المؤمنين على العفو أن يعرف المؤمنين ثواب العفو وما ينتج عنه من آثاره في الدنيا والآخرة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ تعالى عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»[2].

كما كان ﷺ يمتدح العافين من أصحابه على الملأ، ويرشد باقي أصحابه أن يتأسوا بهم، فعن الحسن (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَيْغَمٍ أَوْ ضَمْضَمٍ شَكَّ ابْنُ عُبَيْدٍ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِرْضِي عَلَى عِبَادِكَ.»[3].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم، حديث رقم: ٤٤٩٧.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظه، حديث رقم: ٤٧٧٧.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الرجل يحل الرجل إذا اغتابه، حديث رقم: ٤٨٨٦.

- وأما عن الرحمة في السنة الشريفة العاطرة ، فرسولنا الكريم – صلوات ربي عليه وتسليماته – هو رسول السلام والمحبة والرحمة إلى الكون كله، فهو الذي حثَّ أمته على الرحمة لكل من في الأرض حيث قال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهمُ الرَّحمنُ ، ارحَمُوا أهلَ الأرضِ يَرْحَمْكُم مَن في السّماء»[1].

ولقد فاضت رحمته وسماحته ﷺ البشر كلهم حتى وصلت إلى كل كائن حي، فقد قال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[2].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم: ٤٩٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب الآبار على الطرق، حديث رقم: ٢٤٦٦.

وامتدح النبي الكريم ﷺ الرحماء ، وبين أن رحمتهم هذه نعمة جليلة من الله سبحانه، وأرشد كذلك المحتاجين إلى التوجه إلى الرحماء، فعن علي (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «يَا عَلِيُّ ، اطْلُبُوا الْمَعْرُوفَ مِنْ رُحَمَاءَ أُمَّتِي تَعِيشُوا فِي أَكْنَافِهِمْ، وَلَا تَطْلُبُوهُ مِنَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ» (١).

وقد حذر النبي ﷺ صراحة من القسوة وانعدام الرحمة، وبين أن هذا المسلك الذميم يحرم الإنسان من رحمة رب العالمين في الآخرة فقال ﷺ: «لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»(٢)، وهذا يوضِّح أن الرحمة المأمور بها هي رحمة عامة لكل الناس، وليست قاصرة على من يتفقون معنا في الدين أو في الجنس أو في اللون، بل هي رحمة عامة؛ لأنها رحمة مستقرة في قلب المسلم ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الرقاق، حديث رقم: ٧٩٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ..)، حديث رقم: ٧٣٧٦.

المصدوق أبا القاسم صاحب هذه الحجرة يقول: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»(١).

- كما اعتنى النبي ﷺ اعتناءً فائقًا بتوجيه الرحمة للفئات الضعيفة في المجتمع والأقليات، مع أنه من المفهوم أن مثل ما سبق من التوجيهات والإرشادات النبوية الشريفة تشمل كل فئات المجتمع، وتشمل الحيوانات كذلك ، إلا أن رحمة رسول الله ﷺ واسعة ، فأراد التأكيد على العفو والتسامح والرحمة بهذه الفئات بأحاديث مخصوصة ، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَقَالَ: كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٢).

وكذلك اهتم النبي ﷺ اهتمامًا فائقًا بالرحمة والتسامح والعفو

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم: ٤٩٤٢.

(٢) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في العفو عن الخادم، حديث رقم: ١٩٤٩.

مع الأقليات الدينية – بالتعبير العصري – وحذَّر أشد التحذير من ظلم واحد منهم فقال ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

– ولما توسعت رقعة الدولة الإسلامية أقام النبي ﷺ المعاهدات التي تؤمن لغير المسلمين حرية المعتقد، وممارسة الشعائر ، وصون أماكن العبادة ، إضافة إلى ضمان حرية الفكر والتعلم ، فلقد جاء في المعاهدة التي أعطاها لأهل نجران: «ولنَجْرَانَ وَحاشِيَتِهِمْ جِوَارُ الله وذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبي رَسول الله عَلى أَنْفُسِهِمْ وَمِلّتِهِمْ وَأَرْضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَغَائِبِهِمْ وَشاهِدِهِمْ وَبِيعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ لا يُغَيّرُوا أَسْقُفًا عَنْ أَسْقُفِيّتِهِ ولا راهِبًا عن رَهْبَانيّتِهِ ولا وَاقِفًا عَنْ وَقْفَانيّتِهِ » إلى أن قال: «وَعَلى ما في هذِهِ الصّحِيفَةِ جِوَارُ الله وَذِمّةُ النّبي أَبَدًا حتى يأتي الله بأمْرِه إنْ نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا»[2].

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة، حديث رقم: ٣٠٥٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/ ٢٨٧، ط دار صادر ، بيروت.

- وفي عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يتبين أن المسلمين ساروا على سنة النبي ﷺ حيث عاهد أهل إيليا (القدس) ونص على حريتهم الدينية ، وحرمة معابدهم وشعائرهم ، ومما جاء في ذلك: «هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود»[1].

وختامًا.. فإن كل هذه النصوص الكثيرة المذكورة، وغيرها الكثير لم يذكر لعدم اتساع المقام ؛ توضح سماحة الإسلام والمسلمين في تراثهم وفكرهم ونظرياتهم مع ما لا يتعارض معه عقل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض، والتسامح الإسلامي شهد به غير المسلمين أنفسهم من المنصفين في كل زمان ومكان.

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٦٠٩، ط. دار المعارف بمصر.

التسامح في الإسلام
نصوص من الكتاب والسنة(*)

من المناسب والمفيد أن أبدأ بتعريف مفهوم التسامح في اللغة؛ لأن ذلك يساعد على فهم أبعاد النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشأنه، ويساعد على تحليلها واستيعاب مدلولاتها؛ لأنها نصوص عربية اللسان عربية البيان، يقال: سمح يسمح سماحة: لان، وسهل. ويقال: سمح فلان، أي: بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء. ويقال: سمح له بحاجة، أي: يسرها له. ويقال: سمح العود، أي: استوى وتجرد من العقد. ويقال: سامحه بكذا ، أي : وافقه على مطلوبه(١).

ومن هذا يتبين أن كل المعاني الواردة لمادة «سمح» في لسان العرب تدور حول اليسر والاستواء ، والكرم والرفق ، والليونة والسهولة في التعامل، وهذه المعاني صفات لازمة من لوازم الإسلام في جميع الحقول

(*) الأستاذ / عز الدين الخطيب التميمي (رحمه الله)، وزير الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية سابقًا ، المملكة الأردنية الهاشمية .

(١) لسان العرب ، مادة : «سمح».

والمجالات ، فلا تقتصر على موقف الإسلام من غير المسلمين بل تشمل كل الناس القريب والبعيد ، والغني والفقير ، والعالم والجاهل ، والصحيح والمريض ، والطفل والشيخ ، والرجل والمرأة.

وتبدو سماحة الإسلام في فيض من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقال سبحانه : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، وقال رسول الله ﷺ: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ» [5]، وقال ﷺ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ

(١) البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) المؤمنون، الآية: ٩٦.

(٤) النحل، الآية: ١٢٥.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحسد، حديث رقم: ٤٩٠٤.

النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1]، وقالت عائشة (رضي الله عنها): «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا»[2].

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن نبي الله ﷺ قال لها: «عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[3] ، وفي رواية البخاري : «عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ» [4].

وكان التسامح حقيقة ناصعة في حياة المسلمين وفكرهم وحضارتهم ، وهذا التسامح جعل تاريخنا معطرًا بالندى ، حافلًا بالحرية والكرامة والعدالة ، وقد استنشقنا عبيره من كلمات الله تعالى، وكلمات النبي ﷺ ، وتطبيقات أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

---

(١) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم: ١٩٨٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٤٩٣٨.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٤٩٣٨.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، حديث رقم: ٦٠٣٠.

(رضي الله عنهم)، وكان لهذه الكلمات نبض يتدفق بالحرارة، معلنة أنه لا ينبغي للعالم أن يكون غابة كبرى ، قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): (القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف عندي قوي حتى آخذ الحق له)[1].

لقد اتجه الدين الإسلامي منذ بدأ إلى أن يعاشر غيره على المياسرة واللطف، وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من أحكام وقواعد ويضع من تقاليد ، وهو في الحياة العامة يدعو معتنقيه إلى احترام شخصية المخالف له واحترام إنسانيته ، ومن ثمَّ لم يفرض عليه أحكامه في العبادات ، أو في الحلال والحرام من المأكل ، أو الدخول إلى ساحته بالإكراه.

فمنذ أن أقام النبي ﷺ دولته في المدينة لم تكن رعية هذه الدولة مقصورة على المؤمنين بالإسلام، بل كانت هناك تعددية ، ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن قاعدة التعددية التي رآها الإسلام في مجتمعاته هي واقع طبيعي وفق مشيئة الله تعالى وإرادته ، قال تعالى:

---

(١) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ٣/ ١٨٢.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1].

فقد عايش الإسلام أصنافًا شتى من الطوائف والملل والنحل والأديان والعقائد والفئات ، وعايش المشركين من عبدة الأوثان، وعبدة الكواكب ، ومنكري بعثة الرسل من الفلاسفة والدهرية التي تنفي وجود الله ، وعايش الملحدين والوجوديين واللادينيين ، وترك هؤلاء جميعًا وما يدينون ، ولم يتعرض لهم أحد بسوء ، بل دعا إلى العدل معهم، ودعا إلى الإحسان إليهم في المعاملة والمعاشرة والزيارة والتودد والبر والإنصاف والإقساط ، وتجمع كل هذه الوصايا الآيات القرآنية ، مثل قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ

(١) المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) الممتحنة، الآية: ٨.

فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾[2]، وكذلك الأحاديث النبوية مثل قوله ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا ، أَوِ انْتَقَصَهُ ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

ولم تكن هذه التعاليم مجرد عظات وإرشادات ونظريات مجردة ، وإنما صيغت بقوالب تشريعية وقانونية ودستورية ، وترتيبات إدارية ؛ لتمارس على المستوى الرسمي كمسئوليات عليا في الدولة يذعن لها المسلمون ، ويقضي بها القضاة ، ويفتي بها المفتون ؛ ولذلك فقد استقر في الفقه الإسلامي أن تعامل المسلمين مع غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى وغيرهم ليس حرامًا ولا كفرًا ، فقد

---

(١) المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) النساء، الآية: ٥٨.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الخراج ، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات، حديث رقم: ٣٠٥٢.

عاهد النبي ﷺ اليهود عقب هجرته إلى المدينة، وشملت بنود المعاهدة التعاون على المصالح المشتركة ، ورضي أن تدخل معه خزاعة في صلح الحديبية مع أنها لم تؤمن بعد، واقترض من يهودي، واستعار سلاحًا من صفوان بن أمية وهو مشرك، واستعان في هجرته بدليل مشرك ، وأمر سعد بن أبي وقاص أن يتداوى عند الحارث بن كلدة الثقفي وهو غير مسلم.

ومن واجبنا أن نسعى لتحقيق المزيد من التعارف بين شعوب العالم، وإقامة العلاقات الطيبة المثمرة معها؛ لتنمية الموارد البشرية والاقتصادية ، ودعم الاقتصاد العالمي ، وزيادة علومنا ومعارفنا؛ لنواكب ما وصل إليه العالم من تقدم علمي وتكنولوجي ، وفينا فيض لا ينضب من الرجال الممتازين المؤهلين ، الذين يمكننا الاعتماد عليهم لتحقيق مثل هذه الغايات.

إن ما يسمى في الوقت الحاضر حقوق الإنسان، وحقوق المرأة والأطفال، وحقوق العمال ، وما يسمى كرامة الإنسان وحريته ، وما يسمى حرمة الدماء وحرمة الأموال ، وغير ذلك من الحقوق

والحريات والحرمات مصونة مقدسة في شريعة الإسلام ، ويجب احترامها والعناية بشأنها؛ لأن الله تعالى وهبها للإنسان وشرعها في نصوص وحيه الذي أوحاه إلى رسله الكرام ، ولقد تناولها الفقهاء وأولوها العناية الكبيرة ، واستنبطوا منها ثروة فقهية تشريعية قضائية لتشكل أسلوب الحياة في المجتمعات الإسلامية.

ومن المناسب أن نقرر بعض الحقائق الدالة على التسامح في الإسلام والكاشفة عن تطبيق ذلك عمليًّا في حياة المسلمين، حيث ملأ احترامها قلوبهم ، وتوشحت بها ضمائرهم ، ومارستها جوارحهم.

الحقيقة الأولى: يقرر الدين الإسلامي الحنيف في أقدس نصوصه أن المخالفة في الفكر والرأي والعقيدة والدين لا تستلزم العداوة ، ولا ينبغي أن تنطوي على الحقد والكره والحسد والبغضاء للآخرين ، ولا ينبغي أن تحول بين المسلم وبين أن ينشر المعروف ويفعل الخير مع من استطاع وأينما حلّ ، ولا ينبغي أن تحول بين المسلمين وبين أن يتعاونوا مع غيرهم من أصحاب الديانات

والمذاهب على المشاركة في التقدم البشري في المجالات الإنسانية والعلمية والاقتصادية.

الحقيقة الثانية: أقر القرآن الكريم مبدأ الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وأمر الله تعالى الرسول ﷺ بأن يستعمل الأسلوب القائم على الدليل والبرهان ، ومن الملاحظ أن القرآن الكريم خصَّ الحوار مع أهل الكتاب بنوعٍ من الاهتمام ، وذكر أهل الكتاب في أكثر من موطن ، في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1].

لقد أسهم الإسلام بصورة منقطعة النظير في تأصيل العلاقات الاجتماعية والأواصر الإنسانية ، وترسيخ التلاحم الفعلي بين أبناء المجتمع الواحد والدولة الواحدة ، وأقام جسورًا متينة صالحة بين المسلمين وغيرهم ، ولحمة هذه الجسور وسداها البر وحسن العلاقة والتسامح والعدل ، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ

(١) العنكبوت، الآية: ٤٦.

وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

فمن مهمة الإسلام في الحياة أن يقيم الناس العلاقات الوطيدة فيما بينهم، وأن يتعاونوا ويتآلفوا ويتنافسوا في بذل ما يستطيعون من الجهود المثمرة لعمارة الكون وخدمة الإنسانية، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

الحقيقة الثالثة: كان الإسلام كما أعلنه رسول الله ﷺ النموذج الفريد في العدالة والاعتدال والوسطية والسماحة، ويبدو ذلك واضحًا في سيرته ﷺ وفي تعامله مع الناس، وعلاقاته التي مدها بينه وبين أصحاب الأديان الأخرى، وكانت مواقفه ﷺ نماذج رائعة في تقدير ظروف البشر، وتفهم أحوالهم ، والتعرف عليهم، وجلب مودتهم ، وعدم العدوان عليهم ، وهذه المواقف تشكل المنطلقات الإسلامية للمسلمين في كل الظروف والعصور، وهي

(١) الممتحنة، الآية: ٨.

(٢) الحجرات، الآية: ١٣.

التعبير الحقيقي عن العدالة والاعتدال والوسطية والسماحة.

تذكر كتب السيرة النبوية أن النبي ﷺ حين تعرض هو وأصحابه لِعَنَت قريش وصلفها وقهرها لم يجد أمامه ملجأً بشريًّا إلا أن قال لأصحابه: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ»[1]، وكان ملك الحبشة نصرانيًّا على دين المسيح (عليه السلام)، وهذه حادثة دخلت إلى ضمير كل مسلم في هذا العالم ، واستقرت في عقله ووجدانه وكيانه ، وكانت مصدر الإلهام للمسلمين عبر التاريخ في تأسيس علاقتهم مع غير المسلمين على أسسٍ من المبادئ الإنسانية والأخلاقية.

الحقيقة الرابعة: يجب علينا فهم الإسلام فهمًا صحيحًا ؛ لكي نستطيع أن نواجه به التحديات والمشكلات الفكرية والسياسية والاقتصادية والمجتمعية ، وكذلك الفهم الصادق للإيمان اليقيني الخالص الراسخ النير ، الذي لا يختلط بالأوهام والترهات ، ولا يصاحب التحليق وراء الخيال ، ولا التسليم للخرافة والإذعان

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٣٢١.

للباطل ، مع ضرورة الفهم الصادق الواعي للحياة ، والواعي لأوضاع العالم بعامة وأوضاع الشعوب الإسلامية بخاصة.

إن الإسلام منهج حياة متكامل تناول كل جوانب الحياة، ونظم العلاقات الإنسانية كلها ، ووضع لها أحكامًا وقواعد تقتضي الحق والعدل، فلم يقتصر على علاقة الأفراد بخالقهم التي هي أساس كل علاقة ، بل اتسع ليستوعب شئون العلاقات الاجتماعية بين المسلمين بعضهم ببعض ، وبين المسلمين ومخالفيهم على نحو لم تعرف البشرية شبيهًا ولا مثيلًا له ، ولم يكتف كذلك بالتنظير، بل ربط بين المعرفة والعمل برباط متين في كثير من النصوص ، وطلب من أتباعه أن يكيفوا سلوكهم وفق قواعده وتعاليمه ، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

الحقيقة الخامسة: فصَّل الفقهاء المسلمون حقوق الإنسان بصورة شاملة ، واستوعبوا مفرداتها بصفتها أحكامًا شرعية واجبة الالتزام ، واعتبروا الخروج عليها وعدم التزامها استهانة بحقوق

(١) الصف، الآية: ٣.

الإنسان ، وعدوا الخروج عليها من كبائر الذنوب الجالبة لغضب الله تعالى المستحقة للعقاب في الدنيا والآخرة ، وقد تجلَّت تلك المبادئ عمليًّا ونظريًّا في أول وثيقة دستورية إسلامية في التاريخ، وهي الوثيقة النبوية لأهل المدينة.

ويجدر هنا أن نشير إلى أن تلك الوثيقة النبوية المهمة ذات الطابع القانوني والدستوري والسياسي ، التي أعلنها النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة بثلاثة أشهر تقريبًا ، وأصدرها إلى سكان المدينة من مسلمين وغير مسلمين ؛ قد جاءت في الواقع ميثاقًا جمع السياسة الداخلية والخارجية للإسلام ، أي جاءت قانونًا عامًّا بشقيه: الداخلي والخارجي ، وتفوقت على كل ميثاق وكل قانون وكل سياسة، وضمنت للأقليات حقوقهم والتمتع بأداء شعائرهم وواجبات دينهم ؛ حتى أصبحت أنموذجًا سارت على أسسه ومبادئه السامية بقية المعاهدات التي عقدها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم).

* * *

التسامح(*)

الإسلام دين عالمي يتجه برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالـعدل، وتنهى عن الظلم، وتُرسي دعائم السـلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش الإيجابي بين البشر جميعًا في جوٍّ من التعاون والتسامح بين كل الناس بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، فالجميع ينحدرون من نفس واحدة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾(١).

والإسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح إزاء كل الأديان والثقافات، فقد جعل الله الناس جميعًا خلفاء في الأرض ، وجعلهم شركاء في المسئولية عنها، ومسئولين عن عمارتها ماديًّا ومعنويًّا، قال الحق سبحانه: ﴿هُوَ

(*) الشيخ/ حاتم محمد حلمي بكري، وزير الأوقاف، فلسطين.

(١) النساء، الآية: ١.

أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]، أي طلب منكم عمارتها وصنع الحضارة فيها.

إن العلاقة الإنسانية بين أفراد البشر هي علاقة موجودات حرة، يتنازل كل منهم عن قدرٍ مِن حريته في سبيل قيام مجتمع إنساني يحقق الخير للجميع، فهذا المجتمع الإنساني المنشود لن يتحقق على النحو الصحيح إلا إذا ساد التسامح بين أفراده، بمعنى أن يحب كل فرد فيه للآخرين ما يحب لنفسه.

والمجتمع الإسلامي يقوم على عقيدة الإسلام ، ومصطلح المجتمع الإسلامي لا يعني أن كل أفراده من المسلمين ، بل لا بد أن يضم كل مجتمع من المجتمعات جاليات مختلفة، وقد استطاع المجتمع الإسلامي أن يصهر هذه الجاليات - على الرغم من أنها ضمت شعوبًا ذات أديان مختلفة وعقائد متباينة- في مجتمع واحد متكاتف متعاون متحاب ، كل فرد فيه يعيش في أمن وسلام محتفظًا

(١) هود، الآية: ٦١.

بكل خصوصياته دون أن يمس بأذى؛ فأبدع واخترع وكتب وظهر العلماء من غير المسلمين في الطب والفلك والموسيقى واللغة وغيرهـا، وما ذاك إلا لأن هذه الرسـالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ قائمة على التسامح والعدل والإنصاف والحرية.

والتسامح كلمة تستخدم للإشارة إلى ممارسات جماعية أو فردية تفضي إلى نبذ العنف والتطرف، وقبول اختلاف الآخرين، سواء في الدين أو العرق أو السياسة، وعدم منع الآخرين من أن يمارسوا حقوقهم وشعائرهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم بما لا يتعارض مع الآخرين أو يسيئ إليهم.

صور التسامح مع غير المسلمين بصفة عامة:

إن التسامح مع غير المسلمين وأسس العلاقة التي أرساها الإسلام معهم بشكل عام تتضح في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم

مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]؛ فالبر والقسط مطلوبان من المسلم للناس جميعًا، ولأهل الكتاب من بين غير المسلمين منزلة خاصة في المعاملة والتشريع، فالقرآن الكريم ينهى عن مجادلتهم في دينهم إلا بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[2].

ويبيح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب، والأكل من ذبائحهم، كما أباح مصاهرتهم، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ

(١) الممتحنة، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) العنكبوت، الآية: ٤٦.

حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[1].

صور التسامح مع أهل الذمة بصفة خاصة:

الذمة تعني: العهد والضمان والأمان، وإنما سموا بذلك لأن لهم عهد الله (عز وجل)، وعهد رسوله ﷺ، وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام ، وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين، فهم في أمان المسلمين وضمانهم بناءً على عقد الذمة، فهذه الذمة تعطي أهلها – من غير المسلمين– ما يشبه في عصرنا الجنسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ويلتزمون بواجباتهم.

وعقد الذمة عقد مؤبد يتضمن: إقرار غير المسلمين على دينهم، وتمتعهم بحماية المجتمع الإسلامي ورعايته ، والتزامهم بقانون الدولة ودستورها، يقول النبي ﷺ: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ،

(١) المائدة، الآية: ٥.

فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

والدولة المسلمة مسئولة عن كل رعاياها، قال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2]. وقد سبق الإسلام كثيرًا مما قررته المدنية الحديثة من قوانين ، كحقوق الإنسان في الضمان الاجتماعي ، وهو حق يشمل أبناء المجتمع جميعًا، فلا يجوز أن يُحرم- في المجتمع المسلم- إنسان من الطعام ، أو الكسوة ، أو المأوى ، أو العلاج ؛ فإن دفع الضرر عنه واجب ديني ، مسلمًا كان أو ذميًّا ، وكما قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا أَهْل عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعًا، فَقَدْ

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات، حديث رقم: ٣٠٥٤.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، حديث رقم: ٨٩٣.

بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ الله تعالى»[1].

ويحمي الإسلام- فيما يحميه من حقوق أهل الذمة- حق الحرية، وأول هذه الحريات: حرية الاعتقاد والتعبد، فلكل ذي دين دينه ومذهبه لا يجبر على تركه إلى غيره، وأساس هذا الحق قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[3].

ولابد من الإشارة إلى أن الإسلام صان لغير المسلمين معابدَهم، ورعى حرمة شعائرهم ، وكيف اشتمل عهد النبي ﷺ إلى أهل نجران على أن لهم جوار الله تعالى وذمة رسوله ﷺ على أموالهم وملتهم وبِيَعِهم، وكان مما أوصى به أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) جيش المسلمين: لا تقتلوا طفلًا ولا شيخًا ولا امرأةً ، ولا تقطعوا نخلًا ولا تغرقنه ، ولا تتعرضوا للرهبان في الصوامع ودعوهم وشأنهم.

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٤٨٨٠.

(٢) البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣) يونس، الآية: ٩٩.

التسامح والتعددية:

لا يجوز أن يُنظر إلى اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها ومعتقداتها ولغاتها على أنها تمثل حائلًا يعوق التقارب والتسامح والتعايش الإيجابي بين الشعوب ، فقد خلق الله الناس مختلفِين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1]، وهذا الاختلاف بين الناس لا ينبغي أن يكون منطلقًا أو مبررًا للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعًا إلى التعارف والتعاون والتآلف بين الناس من أجل تحقيق ما يصْبون إليه من تبادل للمنافع، وتعاون على تحصيل المعايش وإثراء الحياة والنهوض بها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[2]، والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف والتعاون في جميع المجالات.

---

(١) هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٢) الحجرات، الآية: ١٣.

التسامح والحوار:

إن الحوار في معناه الصحيح لا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح، واحترام حرية الآخرين، واحترامُ الرأي الآخر، وهو لا يعني بالضرورة القبول به، وهو الأسلوب الحضاري في التعامل.

وختامًا.. فإن التسامح يُعَدّ من العناصر الأساسية في تعاليم الإسلام، وهو من الأهداف التي ترمي إليها الشريعة الإسلامية، ومن ثمَّ فإن التزام المسلمين بذلك وحمايتهم لحقوق الإنسان، ولأتباع الرسائل السماوية الأخرى الذين يعيشون في المجتمعات الإسلامية، ولجميع المواطنين؛ أمرٌ يدخل في إطار التزاماتهم الدينية التي تقضي بالحفاظ والدفاع عن الحقوق الإنسانية العامة للجميع.

* * *

التسامح الإسلامي
بين النظرية والتطبيق(*)

لقد كان للتسامح الإسلامي الذي طبقه سلف هذه الأمة في أقوالهم، وأفعالهم، أكبر الأثر في قبول كثير من الناس للإسلام، ودخولهم فيه عن قناعة واطمئنان، ودفاعهم عنه؛ لما له من مبادئ سمحة عظيمة، يعيش في كنفه المسلم وغير المسلم دون ظلم أو تعصب ، ودون خوف ، أو وجل.

وفي تاريخ الإسلام المشرق نماذج حية لسماحة الإسلام من سيرة الرسول الكريم ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، لو طبقها المسلمون اليوم لوصلوا إلى ما وصل إليه الأوائل من رقي وازدهار ، وبناء حضارة ثابتة الأركان، ولساد العالم الأمن والأمان ، ولَسلِمَ الجميع من الرعب والخوف والإرهاب ، ولتحقق ما ينشده المسلم ، وغير المسلم من وئام

(*) أ.د/ محمد رشيد إبراهيم، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سابقًا، جمهورية المالديف.

ووفاق تحت راية قول الحق سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1].

التسامح الديني:

لقد استطاع الإسلام أن يجعل مُتَّبعيه يعيشون في وئام ووفاق مع مخالفيهم في العقيدة ، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[3]، أي ليس باستطاعتك يا محمد ولا من مهمة نبوتك أن تُكرِه الناس على الإيمان.

وسار المسلمون على هذا المبدأ في علاقتهم مع أهل الأديان الأخرى ، وكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على

---

(١) الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٣) يونس، الآية: ٩٩.

دينهم مع أداء ما عليهم من واجبات ، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ، ولا يتعرضون لعقائدهم وشعائرهم ومعابدهم ، وخير مثال على ذلك ما يلي :

- العهد الذي كتبه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لأهل نجران المسيحيين ، حيث كتب لهم بأنه : (أجارهم بجوار الله ، وعبادتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وأساقفتهم ، ورهبانهم ، وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يخسرون ولا يعسرون ، ولا يُغَيِّر أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد ﷺ أبدًا ، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق[1].

- العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأهل القدس: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ،

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص ٧٩، مطبعة التراث ، القاهرة .

وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم[1].

ومن آثار السماحة والحرية الدينية في الإسلام ما رسمه الإسلام من أدب المناقشة الدينية ، ومجادلة أهل الكتاب مجادلة أساسها العقل ، وعمادها الحجة والبرهان ، والإقناع بالطريقة التي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

ويوضح القرآن الكريم منهاج الدعوة إلى الله بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[3]، كما يوضح القرآن الكريم كيفية معاملة المسلمين الذين

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري، ٤/ ١٣٧.

(٢) العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٣) النحل، الآية: ١٢٥.

يخالفونهم في دينهم، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، فالحق سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بأن يعاملوا أهل الملل والأديان بالعدل، ولم يكتف بذلك بل تجاوز إلى التوصية بالبر بهم ، والبر كلمة جامعة لكل صنوف الخير، ولا شك أن هذا التوجيه الإسلامي لأتباعه يظهر مدى تسامحه، وسموه.

ومما ينتظم في حسن معاملة المسلمين لمن يخالفهم في دينهم، ما سوَّى به القرآن الكريم بين الوالدين المؤمنين والوالدين الكافرين في وجوب الإحسان إليهما بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[2].

---

(١) الممتحنة، الآية: ٨.

(٢) لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.

وكذلك جعل الإسلام الإنسانية جمعاء مستحقة للتكريم الإلهي، باعتبار إنسانيتهم من غير اختصاص بلون، أو جنس، أو عرق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

التوصية بأهل الذمة:

ومن التسامح الإسلامي تسمية غير المسلمين الذين يعيشون في كنف المسلمين (أهل الذمة)، حيث إن لفظ الذمة معناه في اللغة: الأمان، والعهد، وسُمّوا بأهل الذمة لأنهم أمنوا على أرواحهم، وأعراضهم، وأموالهم.

وقد وردت نصوص خاصة في حماية أهل الذمة، ودفع الظلم عنهم، من ذلك: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ

(١) الإسراء، الآية: ٧٠.

طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]، كما أوصى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في آخر أيام حياته بأهل الذمة فقال: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرًا ، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم (أي حمايتهم) ، وألا يُكلَّفوا فوق طاقتهم"[2].

وختامًا.. فإن التسامح الإسلامي الذي تحلى به الرسول ﷺ في التعامل مع المسلمين وغيرهم ، وبعده الخلفاء الراشدون ، والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، وقادة الفتوحات الإسلامية كان سببًا في قبول كثير من الشعوب للإسلام ، كما أن المعاهدين والمصالحين والذميين تعاونوا مع المسلمين في صدق وإخلاص لما رأوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين لهم، فهذا

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم: ٣٠٥٢.

(٢) الخراج ليحيى بن آدم، ١/ ٧٠.

أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة ، نقرأ في مصالحاته لأهل مدن الشام أنه صالحهم بكتاب أمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدن وخارجها ، لا يُهدم منها شيء ، ولا يُغيَّر من معالمها شيء ، وصالحهم على حقن دمائهم ، وحفظ أموالهم، وأعراضهم، وصالحهم على أن من قاتلهم أو ناوأهم وجب على المسلمين أن يقاتلوه دونهم، ويدفعوه[1].

* * *

(١) فتوح البلدان للبلاذري، ص ١٣٢.

التسامح الإسلامي بين الحقيقة والافتراء(*)

إن الإسلام عقيدة سمحاء ينبثق منها نظام متكامل لحياة البشر، ومن أهم دعائم هذا النظام أسلوب تعامل المرء مع الآخرين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1]، وقال (عز وجل): ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[2]، وفي ذلك توجيهٌ وحضٌّ على تفادي التنازع والتخاصم بين البشر ، وإقصاء نوازع الحقد والبغضاء والعداوة بين النفوس، لتحل محلها روح التآلف والتعاطف والمحبة والتسامح، على اعتبار أن التسامح هو الوسيلة الآمنة لسلامة المجتمعات على اختلافاتها.

أما (العدل) الذي هو السمة اللصيقة بالعقيدة الإسلامية

(*) الأستاذ الدكتور/ محمد البشاري ، أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي .

(١) الرعد، الآية: ٢٢.

(٢) المؤمنون، الآية: ٩٦.

فنجده دائمًا الخيار الأكثر صرامة الذي يدعو إليه الإسلام كأسلوب دائم للفرد في مواجهة مشاكله في اتصالها بالآخرين ، هذا العدل الذي يشدِّد عليه الإسلام يهدف إلى التحكم في النفس البشرية، وذلك عن طريق التمسك بقيود وموازين محددة، تلزم الأفراد بحدود معينة لا يتجاوزونها.

ومما لا شك فيه أن التسامح والعدل ما هما إلا وسيلة للاستقرار المجتمعي، إنهما ببساطة دعوة قرآنية تخاطب الإنسانية في مواجهتها لصراعات شتى في الحياة، وتتصل بكل علاقة من علاقات الإنسان بالإنسان في مجالات هذه الحياة.

وفيما يلي عرض لبعض الحقائق والقوانين الإسلامية التي تتجلى فيها سماحة الإسلام وعدالته تجاه الآخر والإنسانية جميعًا.

أولاً: أخلاقيات الحرب في الإسلام:

من الثابت تاريخيًّا أن الإسلام ظل يدعو الناس إلى الله تعالى بالحسنى ، وهو ما حض عليه القرآن الكريم وأكدته السنة النبوية المطهرة، ولم يشرع القتال في الإسلام إلا للدفاع عن النفس في

مواجهة المعتدين، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1]، وحينما مضت معركة دون قتال أو مواجهات دامية مثل الذي حدث في يوم الخندق، قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [2].

لقد عُرِف عن الرسول الكريم ﷺ شجاعته ، وأنه لم يكن محبًّا أو داعيًا لحرب ، بل كان يقول لأصحابه: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا الله العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»[3]. ومن ثمَّ فإن مفهوم الجهاد في الإسلام يستلزم أن تكون الحرب مشروعة، وتحديد مداها وأثرها وتقييد شرورها، وهو مفهوم يختلف عن مفهوم الحرب، فمفهوم الجهاد في الإسلام يجعل السلام هو الحالة

---

(١) البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى نزول الشمس، حديث رقم: ٢٩٦٦.

الدائمة والثابتة في علاقة المسلمين بـغـيـرهم ، ولا يكون القتال إلا الاستثناء الذي يجب أن يـتـوفـر سـبـبـه وحكمته.

ويوجب الإسلام حتى في حالة الجهاد والحرب المشروعة أن تكون الحرب معلنة، وليست غدرًا بالآمنين والمسالمين ، مع النهي عن قتال من لا يقاتلون من الشيوخ، والعجزة، والنساء، والأطفال، والمنقطعين للعبادة ، فالجهاد في الإسلام وما يتبعه من قتال ، لا يصح أن ينال المدنيين المسالمين، ولا يجوز أن يكون فيه دمار شامل للإنسان ، أو الأشياء النافعة للإنسان ، وهكذا كان الحال في الإسلام منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، وقبل أن تتوصل إلى بعض مبادئه المواثيق الدولية ، كمعاهدة جنيف التي تحمي المدنيين من ويلات القتال، وتحدد حقوق الأسرى والمقاتلين ، والتي صدرت في عام ١٩٤٩م.

ثانيًا: موقف الإسلام من الإرهاب:

إن عقيدة الإسلام وفق مبادئها العامة تعتبر الأمن من أهم النعم على الإنسان ، ومن ذلك أمن الفرد على نفسه ، ودينه ، وعرضه ، وماله ، ووطنه ، وانتفاء الخوف من العدوان على

ضروريات حياته وحاجياتها، كما نهت بشكل حاسم وجازم عن العدوان على النفس الإنسانية، وجعل الله تعالى القتل العمد من أشد الجرائم إثمًا وبغيًا، إلى حد أن قتل فردٍ واحدٍ هو بمثابة قتل للبشر أجمعين، ومن ثمَّ فقد حافظ الإسلام على حرمة الجسد الإنساني، فلا يجوز العدوان عليه ولا إتلافه.

إن الإرهاب مرفوض في الإسلام رفضًا حاسمًا، ومن يرتكبه ممن ينتسب إلى الإسلام أو يدعيه زورًا وبهتانًا هو آثم شرعًا، فلقد وضع الإسلام الإرهاب في عداد الكبائر، ومن ثمَّ ينبغي التصدي لهؤلاء الإرهابيين المغيبين عن دينهم ، من أجل الحفاظ على هذا الدين، وعلى حياة الناس أجمعين، وهذا لن يتحقق إلا من خلال نشر الوعي الكامل بجوهر ديننا الحنيف ومبادئه السمحة.

ثالثًا: حقوق الإنسان في الإسلام:

لن أتحدث عن أية مقارنة بين حقوق الإنسان في الإسلام وحقوق الإنسان في المواثيق والعهود الدولية، فقط أؤكد على أن الشريعة الإسلامية قد حرمت الاعتداء على حقوق غير المسلمين، وكفلت للجميع حرية العقيدة في الدولة؛ فقد ساوى الإسلام بين

الناس جميعًا ، وضمن حقوق غير المسلمين كما ضمن حقوق المسلمين، بل جعل حقوق الأقليات في ذمة الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يجوز بحال من الأحوال المساس بها أو الجور عليها، يقول الحق سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[1]، وفي هذه الآية إقرار بالمساواة الكاملة بين الناس جميعًا دون تفرقة بين أحدٍ منهم، ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[2]، ولقد أقر الإسلام تكريم الإنسان كإنسان دونما النظر لأي شيء آخر، فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3].

وهذا يؤكد أن التكريم في الإسلام شمل الإنسان منذ بدء

---

(١) الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) النحل، الآية: ٩٧.

(٣) الإسراء، الآية: ٧٠.

الخليقة إلى أن تقوم الساعة ، وأبلغ دليل على ذلك أن الأقليات الدينية عاشت في كنف الدولة الإسلامية على امتداد ولاياتها وأقاليمها عبر التاريخ متمتعة بالحرية في العقيدة ، والتملك ، والتنقل ، والإبداع ، والترقي ، وتولي المناصب كمواطنين دونما النظر إلى دياناتهم.

وكما أن حرية المعتقد مكفولة بالنص القرآني، الذي هو ملزم للمسلم أكثر من أي نص وضعي، فإننا نجد أيضًا أن الإسلام استبعد أي صورة من صور القيود على حرية الفكر والإبداع، والنصوص التي توجب حرية الفكر والاعتقاد عديدة، ولكن قد يكون أهم من ذلك أن التصور الإسلامي للمجتمع يفترض وجود الحرية كجزء لا يتجزأ من بنية هذا المجتمع ، ليس فحسب لأن الإيمان بالعقيدة لا يمكن أن يتم إلا في بيئة حرة ، وبعد اقتناع كامل، ولكن أيضًا لأن الإسلام يبني الحياة الإنسانية بصفة عامة على أساس أنها اختبار واختيار بين الخير والشر ، وهذا بدوره يفترض ويتطلب وجود قوى الشر والغواية ، وحرية الإنسان

في الانسياق أو المقاومة ، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[2].

وهو معنى تكرر بنصه تقريبًا في سورتي «الحجر ، وص» فافتراض عدم وجود هذه القـوى ، وحريتها في العمل، وحرية

---

(١) الأعراف، الآيات: ١٤ – ١٧.

(٢) الإسراء، الآيات: ٦٢ – ٦٥.

الإنسان تجاهها في الاختيار يخالف تصور الإسلام للمجتمع واستخدامه للثواب والعقاب، هذا المجتمع الذي جعله الله تعالى مسرحًا للاختيار الحر طوال المدة التي أنظر فيها الشيطان حتى يوم القيامة، وسمح له فيها بالعمل، وتم تسليح المؤمنين في مواجهة هذا الإغواء بالإيمان والعقيدة.

إن الرجل والمرأة في الإسلام كيان بشري وإنساني واحد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1]، فهي إذًا الوحدة الكاملة في الأصل، والمنشأ، والمصير، والمساواة الكاملة في الكيان البشري، تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان، كما أن الجزاء في الآخرة واحد للجنسين، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[2]، ويبلغ من تقدير

(١) النساء، الآية: ١.

(٢) آل عمران، الآية: ١٩٥.

الإسلام لمقومات الكيان البـشـرى أن اعتبر العلم والتعلم ضرورة بشرية للجنسين معًا، وجعله ضرورة لازمة للذكر والأنثى، بل جعله فرضًا وركنًا من الإيمان.

وختامًا .. فإن مزية الإسلام الكبرى أنه نظام واقعي يراعي الفطرة البشرية دائمًا، ولا يصادمها أو يحيد بها عن طبيعتها، وهو يدعو الناس لتهذيب طبائعهم والارتفاع والسمو بها؛ والسعي لعمارة الكون وتنميته، والحفاظ على حقوق الكيان البشري والمجتمعات الإنسانية، وترسيخ المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية بين جميع البشر.

* * *

التسامح الديني
بين الفهم السليم والوهم السقيم(*)

إنَّ من أعظم وأكرم خصائص هذا الدين الحنيف أنَّه دين الله الخاتم والخالد إلى قيام الساعة، وقد استلزم هذا أن يكون عالميًّا يُخاطب الإنسان في كلِّ أرجاء المعمورة ، وينظم شئونه وميادين حياته ، وهو في هذا يتسم باليسر والرحمة ، وسماحته شملت كل جوانب الحياة ، وعمَّت جميع الأفراد، ولمَّا خفيت تلك السماحة عن بعض من ينتسبون إلى الأديان السماوية ظهر التكفير والتفجير، والخراب والتدمير ، حتى صرخ العالم وصاح من ويلات الحروب ولوثات العقول التي اجتاحت الأخضر واليابس ، ولعلاج هذا كلِّه فلا بُدَّ من العودة إلى تعاليم الأديان التي دعت إلى التعمير لا التخريب ، والإصلاح لا الإفساد ، والتعاون والتكافل لا التباغض والتناحر.

(*) الشيخ/ خالد عبد المحسن الجندي، عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.

وفي هذا البحث سأعرض لقيمة التسامح في الإسلام، مُوضِّحًا مفهومه ومظاهره ، وكاشفًا عن الشبهات والمغالطات التي حاولت الجماعات الإرهابية ترويجها باسم الإسلام زورًا وبهتانًا في الداخل والخارج.

معنى التسامح وضابطه:

التسامح يعني اليسر والسهولة ، وقد ذكر ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أنَّ السين والميم والحاء أصل صحيح يدل على سلاسة وسهولة[1].

وهذا التسامح واليسر ينبغي أن يكون عن عزةٍ وكرامةٍ لا عن ضعفٍ وذلٍّ ؛ فالإسلام يأبى الضيم ويرفض الذل ، ومن هنا فعلى المسلم أن يتسامح مع غيره بشرط اعتزازه بنفسه ، وحفظه لكرامته ، ومراعاته لأحكام دينه ؛ يعفو عمن ظلمه لكن مع قدرته على ردِّ الإساءة بمثلها وإلا كان جبنًا وصغارًا ؛ يصفح عن المقصر مع زجره عن تقصيره وإصلاحه ما أفسده ؛ فالتسامح إذن هو طيب النفس،

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، مادة (سمح) .

وسلامة الصدر، ونقاء القلب، ولين الجانب، وبشاشة الوجه، هو التيسير دون إفراط أو تقصير، هو العفو من غير ضعفٍ أو ذلٍ.

الإسلام دين التسامح:

من أهمِّ خصائص الإسلام أنَّه دينٌ شاملٌ وكاملٌ ، شملت تعاليمه جميع جوانب الحياة ، ونظَّمت أحكامه علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه وعلاقته بمن يعيش معه وحوله ، وإن شئت فقل: ما ترك الإسلام صغيرةً ولا كبيرةً من أمور الإنسان وشئون الحياة إلا بيَّنها أوضح بيان ، وفصَّلها أعظم تفصيل ، وهذه الشمولية تتناسب مع عالميته وخلوده ، وكذلك فإن الأنسب لعالميته والأليق بخلوده: يسره وسماحته ورحمته في الأمور كلها ، ومن ذلك ما يلي:

سماحةُ الإسلام في عقيدته : إذ هي عقيدة تقوم على مرتكزات العقل الصريح المؤيَّد بالنقل الصحيح، لا تعقيد فيها ولا تقليد ولا جبر ولا قهر، وإنَّما تخاطب الفطرة والعقل في النفس الإنسانية دون إكراهٍ أو إجبارٍ ، ومن أراد دليلًا على ذلك فليقرأ قول الله تعالى : ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[1].

(١) البقرة ، الآية : ٢٥٦.

وعندما عرض الإسلام قضايا هذه العقيدة الصافية عرضها بأسلوبٍ سهلٍ ميسرٍ بعيد كلّ البعد عن الفلسفات المعقدة ، حيث استدل على حقائق الإيمان بأدلةٍ حسيةٍ وعقليةٍ وواقعيةٍ يدركها الناس بأيسر طريق وأقرب سبيل ، استمع إلى القرآن الكريم وهو يقرر قضية الوحدانية بأدلة عقلية، يقول تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾[2]، وكذلك حين قرر قضية وجود الله (عز وجل) ، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3]، وبيَّن أنَّ الفطرة السليمة في

(١) الأنبياء، الآيات: ٢١ – ٢٤.

(٢) الإسراء، الآية: ٤٢.

(٣) الطور، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

حال الأزمات والشدائد لا تلجأ إلا إليه وحده، فقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

سماحة الإسلام في عباداته وتشريعاته : فمبنى العبادات والتشريعات في الإسلام على اليسر والسماحة، ومما لا شك فيه أنَّ التشريع الإسلامي هو أكثر التشريعات ملاءمةً للفطرة البشرية، وتحقيقًا لمصالح الناس في كل زمان ومكان؛ وذلك لأنَّه من عند الله المحيط بكل شئون عباده، العالم بما يصلحهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم، قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ

(١) يونس، الآية: ٢٢.

(٢) المائدة، الآية: ٦.

بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

ومن مظاهر التيسير والسماحة في الشريعة قلة التكاليف بحيث يسهل على المكلف أداؤها دون عنت أو إرهاق ، ويظهر ذلك جليًّا عندما نرى القرآن الكريم يُعدِّد المحرمات على العباد واحدةً واحدة نظرًا لقلتها وسهولة حصرها، أمَّا المباحات فيطلق الشرع الإذن والإباحة والحِلّ في عبارةٍ عامةٍ نظرًا لكثرتها وعدم حصرها، بل نراه ينكر على من يشق على الناس ويحرم عليهم ما لم يحرمه الله، فيقول تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[3].

---

(١) البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) الأعراف، الآية: ٣٢.

(٣) يونس، الآية: ٥٩.

وتظهر سماحة التشريع - كذلك- في قاعدةٍ عظيمةٍ، ألا وهي قاعدة: المشقة تجلب التيسير؛ حيث تمثل هذه القاعدة روح التشريع الإسلامي، وتؤكد سماحة هذا الدين الحنيف ووسطيته واعتداله، إذ راعت أحوال المكلفين ورفعت عنهم الضيق والحرج ، فإذا عرض للمكلف عارضٌ منعه من تنفيذ حكم شرعي، أو حال بينه وبين تحقيقه لوجود مشقةٍ أو صعوبةٍ ، فإنَّ الشريعة السمحة تُخفِّفه بما يقع تحت قدرة المكلف دون حرجٍ أو ضيقٍ ، فالمشقة تصبح سببًا للتخفيف والتيسير.

سماحة الإسلام في معاملاته: فعَن جابر (رضي الله عنه) أنَّ النبي ﷺ قال: «رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى»[1]، يقول الإمام ابن حجر: فيه الحضّ على السماحة في المعاملة ، واستعمال معالي الأخلاق ، وترك المشاحة ، والحض على

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف، حديث رقم: ٢٠٧٦.

ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[1].

التسامح مع غير المسلمين:

إن العلاقة التي يرسّخ القرآن الكريم لها بين المسلمين وغيرهم هي علاقة التكامل لا التصادم ، البناء لا الهدم ، العطاء لا السلب، الإحسان لا الإساءة ، المعروف لا المنكر ، الخير لا الشر ، الإكرام لا الإهانة ، من خلال تعايش بَنَّاء ، وتعاون مُثْمِرٍ، ومشاركة في إحياء القيم الإنسانية المشتركة ، والحفاظ على المُثل العليا عند جميع الأمم ومختلف الحضارات.

وقد أكَّد الإسلام على التعاون بين أصحاب الديانات المختلفة، ومع أصحاب الثقافات المتعددة ، وأسَّس لمفهوم التعارف بين جميع شعوب العالم ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[2]، فالناس بكل تنوعهم وتعددهم ، واختلاف ألسنتهم وألوانهم وتباعدهم في

(١) فتح الباري، ٤/ ٣٠٧.

(٢) الحجرات، الآية: ١٣.

المكان والأوطان إنما يرجعون إلى أصل إنساني واحد ، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1].

ومنذ أن سطعت شمس الحضارة الإسلامية على الدنيا والمسلمون يطبقون مفهوم التعارف ، والتشارك ، والتعاون مع غيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى من أجل رعاية الإنسان وتحقيق سعادته ، فليس في الإسلام ما يمنع من العمل المشترك مع الآخرين من أجل خدمة مصالح الإنسانية ، وترسيخ ثقافة التعايش السلمي والأمن المجتمعي ، وحماية كرامة الإنسان ، والدفاع عن حقوقه وإنسانيته.

إنَّ التعاون بين الأديان والثقافات المختلفة من أجل حماية كرامة الإنسان والدفاع عن حقوقه هو في الوقت نفسه تعايُشٌ بين الثقافات والحضارات ، يهدف إلى خدمة الأهداف السّامية التي يسعى إليها الإنسان ، ولم يعرف التاريخ أُمةً من الأمم ساوت بين

(١) النساء، الآية: ١.

المخالفين لها في دينها وبين أبنائها والمنتسبين لها في شأن قوانين العدالة ونوال حظوظ الحياة بقاعدة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" مع بقائهم على دينهم وعاداتهم إلا أمة الإسلام ، فمنذ أن تأسَّس مجتمع المدينة عاش اليهود في كنفه بعهدٍ مع المسلمين أبرمه رسول الله ﷺ معهم عُرف بـ «وثيقة المدينة»، وقد تضمنت هذه الوثيقة معاهدة سلام ومبايعة أمان يعيش المسلمون واليهود بموجبها يتبايعون ويتعاملون ويدافعون عن المدينة ضد أي خطر خارجي، وكان رسول الله ﷺ غايةً في الحلم معهم والسماحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا ، أمَّا مَنْ يعيشون بين المسلمين ويحترمون قيمهم ومجتمعهم فلهم الأمن والأمان والسلم والسلام.

من مظاهر التسامح في معاملة غير المسلمين:

١ - حرية العقيدة: فلكل ذي دين دينه لا يجبر على تركه ليتحول منه إلى غيره، وقد أبان القرآن الكريم عن ذلك المعنى بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[1]، قال

(١) البقرة، الآية: ٢٥٦.

الإمام ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية : أي لا تُكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بَيِّنٌ واضح ، جلي دلائله وبراهينه ، لا يحتاج إلى أن يُكْرَه أحد على الدخول فيه[1].

إنَّ الإسلام لا يجبر غير المسلمين على اعتناقه ، ولا يحملهم قسرًا على اتباع تعاليمه ، بل إنَّ الإسلامَ أقرَّ لغير المسلمين حقوقًا وألزم أتباعَه القيام بها على خير الوجوه وأحسنها ، وأتمها وأكملها، وأسماها وأنبلها ، فلم يُجبِر الإسلامُ الناسَ ولم يُكرِههم على الدخول فيه ، بل وكَل الأمر إلى أنفسهم ، فقال الله تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/ ٥٢١.

(٢) يونس، الآية: ٩٩.

(٣) الغاشية، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) الكهف، الآية: ٢٩.

عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[1]، وهناك ما يقرب من مائتي آية في القرآن الكريم كلها تؤكد على حرية الإنسان في اختيار عقيدته وما يتدين به.

وفي هذا المبدأ يتجلَّى تكريمُ الله للإنسان، واحترام إرادته وفِكْره ومشاعره ، وترك أمره لنفسه فيما يَختصُّ بالهدى والضلال في الاعتقاد ، وتحميله تَبعة عمله وحساب نفسه ، وهذه هي أخصُّ خصائص التحرُّر الإنساني ، وكما منح الإسلام الحرية لغير المسلمين في البقاء على دينهم أباح لهم أيضًا ممارسة شعائرهم الدينية الخاصة بهم ، وبناء معابدهم وكنائسهم ، يقول الدكتور/ أحمد الحوفي : أما الحرية الدينية فقد كفَلها الإسلامُ لأهل الكتاب ، فهم أحرار في عقيدتهم وعبادتهم وإقامة شعائرهم في كنائسهم[2].

٢ - العدل: أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل بين الناس جميعًا دون النظر إلى ذواتهم أو أجناسهم أو أديانهم أو أعراقهم ، وأمر رسولَه ﷺ أن يحكم بالعدل بين المتخاصمين من أهل الكتاب إذا

---

(١) ق ، الآية: ٤٥.

(٢) سماحة الإسلام، د/ أحمد الحوفي، ص ٧٩.

جاءوا يُحَكِّمونه بينهم ، قال تعالى : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

بل جعل القرآن الكريم العدل مع المخالف دليلًا على التقوى التي رُتب عليها أعظم الجزاء ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

وشدَّد النبي ﷺ في الوعيد على مَنْ ظلم معاهدًا ، وأخبر أنَّه سيخاصمه يوم القيامة ، ولا شك أنَّ مَنْ يخاصمه رسول الله ﷺ فقد خاب وخسر ، فعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم ، عن رسول الله ﷺ قال: «ألا مَنْ ظَلَم مُعَاهدًا أوْ انْتَقَصه أوْ كَلَّفه فَوْق طَاقَته أوْ أَخَذَ مِنه شَيْئًا بِغَيْر طِيب نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجه - أي أنا الذي أخاصمه وأحاجّه -

(١) المائدة، الآية: ٤٢.

(٢) المائدة، الآية: ٨.

يَوْم الْقِيَامَة»[1].

ومن مفاخر الإسلام التي يتجلى فيها تحقيق العدالة بين المسلم وغير المسلم في القضاء أنه لو تنازع مسلم وغير المسلم لا يُقضى للمسلم لكونه مسلمًا، ولا يُظلم غير المسلم لكونه ليس مسلمًا، بل يُعطي الإسلام الحق لصاحبه أيًّا كان دينه أو جنسه.

٣ - البر والإحسان: أمر الإسلام بالإحسان إلى غير المسلمين الذين لم يُعرف لهم أذية للمسلمين ولا قتالهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2]، بل إن الإسلام أمر بصلة الأقربين من غير المسلمين والإنفاق عليهم وبرهم والإحسان إليهم ، روى البخاري في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكـر (رضي الله عنهـا) قالت : قـدمت عليّ أمي وهي مشركـةٌ

(١) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في الذّمّيّ يسلم في بعض السّنة هل عليه جزية، حديث رقم: ٣٠٥٢.

(٢) الممتحنة، الآية: ٨.

في عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : وهي راغبةٌ أفأصل أمي؟ قال ﷺ : «نَعَم صِلِي أُمَّك»[1].

٤ – حفظ النفس والمال والعرض: حفظ الإسلام وضمن لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي أمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فلا يُتعرض لها بسوء لا من المسلمين ولا من غيرهم، وشدَّد الوعيد وأغلظ في العقوبة لمنْ استباح حرمة دمائهم أو تعرض لهم بأذى، قال ﷺ: «مَنْ قَتَل معَاهدًا لمْ يُرِحْ رَائِحةَ الجنَّة، وإنَّ رِيحَهَا تُوجَد مِنْ مَسِيرةِ أَرْبعِين عَامًا»[2].

* * *

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، حديث رقم: ٢٦٢٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، حديث رقم: ٣١٦٦.

التعليم
وتعزيز التسامح الديني والتعايش السلمي(*)

«الجهل عدو السلام» هذه عبارة تغني عن مائة مقال يكتب في موضوع توظيف التسامح في التربية والتعليم، والجهل المقصود به هنا ليس الأمية والتخلف في التعلم بقدر ما هو الوعي بحقيقة الأمور، وأهمها الوجود الإنساني، حيث إن الوعي بحقيقة الوجود البشري الإنساني المتنوع بطبيعته؛ يستوجب فهم التسامح، وتقبل الاختلافات، كمنطلق للوصول إلى تعايش حقيقي.

إن التعليم هو سلاح الفرد لمحاربة الجهل بشتى أنواعه: الفكرية، والأدبية، والنفسية، والإنسانية، والجهل بحد ذاته هو ما يمنع الشعوب من التطور والحياة بسلام ؛ مما يفرض ضرورة تضمين القيم الإنسانية النبيلة : كالتسامح الديني ، والتعايش السلمي ، وتقبل الآخر المختلف ، ضمن مناهج الجامعات

(*) سماحة الدكتور الشيخ/ خالد بن خليفة آل خليفة، رئيس مجلس أمناء مركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي.

ومؤسسات التعليم العالي حول العالم.

وعليه فإن التربية والتعليم -كانت ولا زالت- هي أساس ترسيخ التعايش السلمي، باعتباره سمة اجتماعية تنطلق من التسامح بوصفه قيمة إنسانية، نابعة من وعي المجتمع ومستواه المعرفي ، المقترن وجوبًا بالإيمان والاعتقاد بالتنوع كحتمية لاستمرار البشر.

التعليم منظومة متكاملة:

في كثير من الآراء التي تطرح في الربط بين التسامح والتعليم يُوضع اللوم الأول والأخير على المناهج التعليمية، وأن أفضل معالجة لضمان تحقيق هدف ترسيخ التسامح يتأتى من تعديل المناهج والمقررات الدراسية فقط دون النظر إلى بقية العناصر المشكّلة للعملية التعليمية، في حين أن المناهج تمثّل جزءًا فقط من منظومة تتضمن: المدرسة كإدارة ومعلمين، والمدرس، والبيئة الاجتماعية العامة، أضف إلى ذلك: المنزل كالأسرة، والأصدقاء، وغيرهم، فهي منظومة متكاملة، فلا فائدة مثلًا في منهجٍ دون أن يكون هناك مدرس مؤمن بهذه القيم، فالمعلم يعتبر ركن أساس في

عملية التلقين وراعي مهمة غرس القيم؛ وعلينا من أجل تمكين قيم التسامح في التعليم أن يتم العمل على أركان المنظومة كاملة دون استثناء؛ حتى يمكن غرس القيم بالشكل الصحيح.

التعليم الجامعي ورعاية الشباب:

التعليم الجامعي يعتبر مرحلة مهمة في تشكيل الوعي لدى الطلاب، فالشباب هم العنصر الرئيس في تشكيل ذلك الوعي، لذلك فإن التوعية المستمرة والتحصين والترسيخ القيمي هو أهم ما يجب التركيز عليه للاستفادة من الطاقات الشبابية؛ حيث إن توعية الشباب الجامعي حول التسامح مهم جدًّا ، ومع تكثيف هذه الجهود في التحصين يصبح أولوية بالنظر إلى المؤثرات الخارجية التي تضرب في الفكر ، ومن ثم فإن رعاية الشباب ، وبثّ الأمل في نفوسهم ، وفتح الآفاق لهم يضمن بناء الوعي السليم.

التوصيات:

- التأكيد على أن جوهر مسيرة التطور والتنمية والازدهار في أي مجتمع إنساني وجود سياسات وطنية تعنى بالتسامح

والتعايش السلمي.

- ضرورة محاربة التطرف والإرهاب بمحاربة الجهل، وذلك عبر التوعية الفكرية والمعرفية المرتكزة على فهم حقيقة الوجود الإنساني الذي يقتضي التسامح والتعايش كحتمية للبقاء.
- وجوب النظر إلى التربية والتعليم كمنظومة متكاملة، وأساس لترسيخ التعايش السلمي.
- ضرورة رعاية الشباب وبث الأمل والطموح في نفوسهم، لتشكيل الوعي بالتسامح والتعايش ، وتحصين الفكر ، وترسيخ القيم الإنسانية.

* * *

التسامح الديني ووسطية الإسلام(*)

الفكر الإسلامي محصلة حضارية بُنيت على أركان العقيدة الإسلامية التي جعلها الله دينه الخاتم وبعث بها خاتم النبيين ﷺ، وفكرة الوسطية مبدأ تجلَّى في القرآن الكريم وأتم بيانه الهدي النبوي، وهي فكرة تشكل مرتكز خصائص الأمة الإسلامية.

والوسطية مأخذها من الوسط، ووسط الشيء خياره وعدله وأفضله، قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢).

والدلالة الاصطلاحية لمدلول الوسطية تعني: التوازن والاعتدال والسمو والرفعة بين طرفي الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط،

(*) أ.د/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود.

(١) القلم، الآية: ٢٨- ٢٩.

(٢) البقرة، الآية: ١٤٣.

فالوسطية منزلة بين طرفين مذمومين ، وهي منهج شامل في العقيـدة ، والعبادات ، والقيم والمعاملات ، والدعوة والتشريع ، والتفاعل الحضاري.

١ـ وسطية العقيدة:

وهي عقيدة التوحيد التي تتفق مع الفطرة السوية، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾(١)، وقال سبحانه: (﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) الإخلاص، الآيات: ١ – ٤.

(٢) الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣) آل عمران، الآية: ٦٤.

ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فالناس قد فطروا على الحنيفية السمحة، قال تعالى في الحديث القدسي: «إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»[2]، وقال المصطفى ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»[3].

وهذه الفطرة التي فطر الحق سبحانه وتعالى الخلق عليها لا تستقيم وحدها بمعرفة الخير من الشر والحسن من القبيح والنافع من الضار والهدى من الضلال؛ ولهذا بعث الله (عز وجل) الرسل وأنزل عليهم الكتب وشرع الشرائع؛ لتستقيم الفطرة على منهج الله

---

(١) الروم، الآية: ٣٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم: ٢٨٦٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم: ١٣٨٥.

تعالى، وأنزل الله تعالى كتابًا مسطورًا وهو القرآن الكريم ، وكتابًا منظورًا وهو هذا الكون ، فالآيات نوعان : آيات في الكتاب المسطور، وآيات كونية في صفحة الكون المنظور.

فالكون مصدر للمعرفة والعلم، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

ثم إن الكون -أيضًا- هو مصدر من المصادر التي تدل على حكمة الله وبديع صنعه نقرأ قول الله تعالى في السماء: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[2]، ونقرأ في بديع صنع الله تعالى في الأرض والسماء قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ

(١) فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) الصافات، الآية: ٦.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [1]، وفي جمال الإنسان نقرأ قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[3].

كما نتلو في القرآن الكريم عن جمال النبات قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [4]، فهنا علاقة روحية بين المسلم العابد وبين هذا المسبح الخاضع لله تعالى،

---

(١) النمل، الآية: ٦٠.

(٢) التين، الآية: ٤.

(٣) الانفطار، الآيات: ٦-٨.

(٤) إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤.

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ (١)، أي ردِّدي تسبيحه ؛ ليكون تسبيح الجماد والطيور منسجمًا مع تسبيح داود (عليه السلام).

ومن ثمَّ فإن هناك علاقة معرفية وعلاقة تسخيرية وعلاقة روحية مع الكون ، فقد قال المصطفى ﷺ: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»(٢).

كما أن للإنسان علاقة جمالية بالحيوان، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، وبالكتاب المسطور وبالكون المنظور تستقيم الفطرة وتتفق مع الوسطية.

---

(١) سبأ، الآية: ١٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب خرص الثمار، حديث رقم: ١٤٨٢.

(٣) النحل، الآيات: ٥ – ٨.

٢ـ وسطية الشعائر الدينية والعبادات:

هناك تلازم بين الظاهر والباطن، وبين العقل والقلب وحركات البدن، فالصلاة فيها حركات تتصل بالبدن من قيام وركوع وسجود وجلوس، وفيها أعمال قلبية من خشوع واستشعار لعظمة الله تعالى، والتدبر والتفكر والخشية والرغبة والرهبة والإنابة.

وقد جاء في القرآن الكريم الحديث عن الصلاة الوسطى، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ (١).

وجاء الحديث عن الوسطية في العبادة، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾(٢).

كما جاء في القرآن الكريم الحديث عن الوسطية في الإنفاق، قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ

---

(١) البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٢) الإسراء، الآية: ١١٠.

وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[3].

٣ـ وسطية القيم والسلوك والمعاملات:

جاء في القرآن الكريم الحديث عن الوسطية في القيم والسلوك، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ

---

(١) الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) الإسراء، الآية: ٢٦.

(٣) الإسراء، الآية: ٢٩.

(٤) لقمان، الآيات: ١٧ - ١٩.

عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[1].

وجاء في القرآن الكريم - أيضًا - الحديث عن الوسطية في المعاملة، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِۚ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

وجاء الحديث عن الوسطية في المنهج والالتزام بالطريق السوي، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ

---

(١) الإسراء، الآيات: ٣٦- ٣٨.

(٢) الإسراء، الآية: ٣٥.

(٣) الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

كما جاء في القرآن الكريم الحديث عن الوسطية في الصلح، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [2].

ثم تأتي الوسطية في السلوك الإنساني بين حظي الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»[4].

---

(١) الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) الحجرات، الآية: ٩.

(٣) القصص، الآية: ٧٧.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، حديث رقم: ١٩٦٨.

فالإنسان يتكون من روح وعقل وجسد ومشاعر وعواطف، والوسطية في الإسلام تلبي كل هذه الجوانب وتحقق متطلباتها، وقد جَسَّد نبينا ﷺ هذه الوسطية قولًا وفعلًا ، فعندما جاء ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا والله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

كما كان رسول الله ﷺ يداعب أهله ويمازح أصحابه، ولهذا سابق ﷺ عائشة (رضي الله عنها) فسبقته مرة وسبقها مرة، فقال:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ، حديث رقم :٥٠٦٣.

«هَذِهِ بِتِلْكَ»[1] ، بل أعان ﷺ زوجته عائشة (رضي الله عنها) على التمتع بلهو الأحباش وهم يلعبون في المسجد يوم العيد[2] ، وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[3]، وقال أيضًا: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[4].

كما ضرب ﷺ المثل الأعلى في التواضع؛ فقد سئلت عائشة (رضي الله عنها) ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ ، تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ»[5]، وفي رواية : «كَانَ يُرَقِّعُ

(١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، حديث رقم: ٢٥٧٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب أصحاب الحراب في المسجد، حديث رقم: ٤٥٤.

(٣) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، حديث رقم: ٣٨٩٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة، حديث رقم: ٦٧٦.

الثَّوْبَ، وَيَخْصِفُ النَّعْلَ»[1]، ثم إنه ﷺ عُني بأمر الأطفال ، فعندما جاء الحسين بن علي (رضي الله عنهما) وجده يصلي فصعد على ظهره الشريف، أطال رسول الله ﷺ السجود حتى ظن الصحابة (رضي الله عنهم) أن قد حدث أمرًا مكروهًا، فلما فرغ من صلاته ﷺ قال للناس: «ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[2]، وعندما رآه الأقرع بن حابس وهو يقبل أسباطه الحسن والحسين قال: أتقبلون صبيانكم ، إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا ، فقال ﷺ : «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[3]، وقال ﷺ: «وَمَا أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ الله الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ»[4]، وقال ﷺ: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٦٠٤٨.

(٢) سنن النسائي، كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، حديث رقم: ١١٤١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، حديث رقم: ٥٩٩٧.

(٤) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب ذكر إباحة ملاعبة المرء ولده، حديث رقم: ٥٥٩٦.

فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[1].

وقد ضرب ﷺ المثل في الوسطية ، فحين جاء الصحابي الجليل حنظلة (رضي الله عنه)، فقال: يا رسول الله إننا نأتي إليك فتحدثنا عن الجنة وعن النار حتى كأننا ننظر إليهما فإذا رجعنا عافسنا الزوجات واشتغلنا بالدنيا، فقال ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»[2]، ولما كان عند الأنصار زواج وبهجة وفرح فقال ﷺ: «فَهَلَّا بَعَثْتُمْ مَعَهُمْ مَنْ يُغَنِّيهِمْ يَقُولُ: أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيَّاكُمْ» [3].

وهكذا سار الخلفاء والصحابة (رضي الله عنهم) على هذا المنوال فكان الخليفة علي (رضي الله عنه) يقول: «أَجِمُّوا هذه القلوب

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، حديث رقم: ٧٠٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر، حديث رقم: ٢٧٥٠.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: (١٥٢٠٩).

واطلبوا لها طرائف الحكمة؛ فإنها تملّ كما تملّ الأبدان»[1].

٤ـ وسطية الدعوة والتشريع:

أما وسطية الدعوة فهي التي تقوم على مبدأين ، التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة ؛ قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾[2]، وعندما بعث المصطفى ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»[3]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا»[4].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، ١/ ٤٣٣، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف ، حديث رقم: ٣٠٣٨، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير، حديث رقم: ١٧٣٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا، حديث رقم: ١٤٧٨.

وقد عمل الرسول ﷺ على التيسير بالفتوى؛ ليبقى الإنسان في إطار المشروعية الدينية، والبشارة في الدعوة؛ لأن البشارة جزء من مدلول الرحمة التي وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

أما الوسطية في التجديد والاجتهاد فهي تقوم على ركنين: الاعتماد على الأصول، والاتصال بالعصر، أما الاعتماد على الأصول فنحن في هذا نعتمد على الشريعة التي تقوم على الثوابت الكبرى، وهي حفظ الضروريات: حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العرض، وحفظ العقل ، وحفظ المال ، وحفظ الوطن ، والمحافظة على قطعيات الشريعة وأحكامها ، وعلى الفرائض ، وعلى القيم الأخلاقية.

---

(١) الأعراف، الآية: ١٥٧.

أما الاتصال بالعصر فإن شريعة الإسلام قد اتسعت لذلك عبر آلة الاجتهاد والتجديد ، ولهذا قال الفقهاء في باب الوسطية: إن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأعراف ، ومن ثمَّ فإن الاجتهاد والتجديد ضرورة ملحة لاستيعاب قضايا العصر ومتطلبات الحياة ، ويكون ذلك من خلال الثبات على مقاصد الشريعة وقواعدها العامة ومبادئها الكلية مع المرونة في الوسائل، ودقة الفهم ، وإدراك المصلحة.

ويأتي هنا الحديث عن الوسطية في الأحكام ، ووسطية الأحكام تكون بتعظيم الأصول وتيسير الفروع ، وهذا يقتضي أن يتصدى للفتوى في قضايا الأحكام من لديه الأهلية في العلم والفهم والإدراك من خلال المؤسسات العلمية المتخصصة المعتمدة ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) الزمر، الآية : ٩.

مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

وقد قال أحد التابعين: «إن أحدهم ليفتي في المسألة ، ولو وردت على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لجمع لها أهل بدر»[3]، فأجرأ الناس على الفتوى أجرأهم على النار، ولهذا نرى أن الصيغة المثلى في علاج قضايا الأمة وحل مشكلاتها إنما تتحقق بالاجتهاد الجماعي المؤسسي الذي يجمع بين فقهاء الشرع وخبراء العصر ؛ لأن الفقهاء يعلمون النصوص ومدلولاتها ومقاصدها ، والخبراء يعرفون الواقع ومآلاته وتحدياته ، والحكم الشرعي مركب من العلم بالنصوص والعلم بالواقع ، فالاجتهاد الجماعي المؤسسي

---

(١) المجادلة ، الآية : ١١ .

(٢) آل عمران ، الآية : ١٨ .

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي ، ص ٤٣٤، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

المعتمد أقرب إلى السداد وأبعد عن الخلاف في مثل هذه القضايا.

ويأتي الحديث عن وسطية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأمر بالمعروف هو من الصفات الخيرة في هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢)، ولكن لا بد من الحكمة عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنظر في مجريات الأمور وما ينشأ عن هذا الأمر من تحقيق المصالح ودفع المفاسد، ولا بد من الموازنة بين الخير والشر، وما يترتب على هذا التصرف من المآل والآثار.

٥ـ الوسطية في التفاعل الحضاري:

نحن نعيش ضمن قرية كونية زالت فيها حواجز الزمان والمكان، ولابد من تبادل المنافع، ورعاية المصالح ، ومد الجسور مع

---

(١) آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) آل عمران، الآية: ١٠٤.

الآخرين ، والتفاعل الإيجابي من غير أن تذوب شخصيتنا وخصوصية حضارتنا.

والحضارات تتقاسم أقدارًا من القيم ، ولهذا لابد أن نأخذ بالنافع المفيد من اللباب والجوهر، فقد اتصل المسلمون في صدر الإسلام وفي القرون الأولى بالدول المجاورة وفتحوا نوافذهم على الأمم من حولهم ، واستقبلوا الكتب ، وقاموا بالترجمة ، ونشر المسلمون علومهم في شتى المعارف والثقافات حتى وصلوا بها عن طريق الأندلس إلى بلاد أوروبا ، ولهذا حدث التفاعل الإيجابي بين المسلمين وغيرهم من اليونان والروم وفارس.

إن قاعدة التفاعل الحضاري هي أن نرعى المنافع ونتبادل المصالح؛ لتحقيق السلم والأمن بين الشعوب في ظل الالتزام بقيم العدالة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ

(١) الأنعام، الآية: ١٥٢.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[2].

فالإسلام دين عدل ورحمة اتسع ليشمل العالمين جميعهم، ومما يثبت المنهج المتميز في سماحة الإسلام مع غير المسلمين أنه لم يجبر أحدًا على الدخول في الإسلام، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[4]، فلقد جاء الإسلام لخير الإنسانية ، وعمل على أن يصل هذا الخير إلى الناس جميعهم دون حائل يحول دون هذه الغاية،

---

(١) المائدة، الآية: ٨.

(٢) الممتحنة، الآية: ٨.

(٣) البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٤) يونس، الآية: ٩٩.

ومما يصور هذا الشمول الخالص قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]؛ فللإنسان حرمة ومنزلة يدل عليها ما جاء في هذه الآية الكريمة بما يكشف عن مساواة مطلقة بين الأجناس البشرية ، مساواة لا تعترف بامتياز ألوان أو أعراق أو ثقافات على أخرى ، وإنما التمايز بالعمل الصالح وبما يقدم كل إنسان من خير .

ولعل عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأهل بيت المقدس من أشهر تلك العهود التي تبرهن على روح التسامح، فقد قدم عمر (رضي الله عنه) الشام ونزل بالجابية ، فأتاه أهل إيليا فصالحهم عمر (رضي الله عنه) وكتب لهم أمانًا ورد فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا

(١) الحجرات، الآية: ١٣.

من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم[1].

* * *

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٦٠٩.

التسامح في الحضارة الإسلامية(*)

التسامح ببعديه الديني والحضاري في الإسلام يمثل قيمة كبرى للإنسانية ، وهو تجسيد عملي للنصوص الدينية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ومن ذلك ما يلي:

١ـ من القرآن الكريم:

يتضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل جملة وتفصيلًا على أن الإسلام دين رحمة وتراحم بين المسلمين فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى ، وقد بلغت الآيات القرآنية في هذا الصدد حدًّا في الكثرة يُشعر القارئ لها بمدى أهمية التسامح ومكانته في الإسلام، ومنها ما يلي:

أ ـ آيات يشمل حكمها جميع البشر:

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(٢).

(*) أ / أحمد ولد محمد الأمين النيني ، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقًا ، جمهورية موريتانيا.

(١) البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) البقرة، الآية: ٢٨٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ

---

(١) الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) فصلت، الآية: ٣٤.

(٣) المؤمنون، الآية: ٩٦.

(٤) البقرة، الآية: ٨٣.

(٥) آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٦) البقرة، الآية: ٢٥٦.

بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2].

ب- آيات تخص المسلمين فيما بينهم:

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[3].

ج- آيات تحكم العلاقة بغير المسلمين:

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ

---

(١) المائدة، الآية: ٨.

(٢) النساء، الآية: ١٣٥.

(٣) آل عمران، الآية: ١٥٩.

فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

د- آيات تتضمن عناية خاصة بأهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

قال تعالى : ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ

---

(١) الممتحنة، الآية: ٨-٩.

(٢) العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٣) آل عمران، الآية: ٦٤.

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[1].

٢ـ من السنة النبوية المطهرة:

قال رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[2]؛ وقال ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[3].

وقال ﷺ في حديث آخر: «عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَه»[4].

وقالت عنه عائشة (رضي الله عنها): «لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ

---

(١) المائدة، الآية: ٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، حديث رقم: ٦٠١٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم: ٢٥٩٢.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الرفق، حديث رقم: ٢٥٩٤.

يَعْفُو وَيَصْفَحُ»[1].

وقالت أيضًا (رضي الله عنها) : «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلِمَةٍ ظُلِمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تُنْتَهَكْ مَحَارِمُ الله فَإِذَا انْتُهِكَ مِنْ مَحَارِمِ الله شَيْءٌ كَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ غَضَبًا، وَمَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ مَأْثَمًا»[2].

وفي الحديث: «إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي ، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ»[3].

وقال ﷺ: «مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ الله بَيْنَهُ وَبَيْنَ

---

(١) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٠١٦.

(٢) مسند الحميدي، حديث رقم: ٢٦٠، وبنحوه، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، حديث رقم: ٦٧٨٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، حديث رقم: ٧٠٩.

أَحِبَّتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

كما كان رسول الله ﷺ يقبل شفاعة غير المسلمين ، وكان ﷺ نبي رحمة حقًّا ، فلما طلب منه أن يدعو على المشركين ، قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[2]؛ وقد طلب منه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن يدعو عليهم فقال: «اللهمَّ اهْدِ دَوْسًا»[3].

وكان يبيع للكفار، ويبتاع منهم، وقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي اشترى منه طعامًا لأهله[4].

---

(١) سنن الترمذي، أبواب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي، حديث رقم: ١٥٦٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: ٢٥٩٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين، حديث رقم: ٦٣٩٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ، حديث رقم: ٢٩١٦.

من التطبيقات العملية للتسامح في التاريخ الإسلامي:

ـ صحيفة المدينة المنورة:

تسمى هذه الوثيقة دستور المدينة؛ وتوصف بأنها أول دستور في التاريخ؛ وفيما يلي بعض ما جاء في هذه الوثيقة:

– وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم.

– وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بن جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

– وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم.

- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله تعالى ، وإلى محمد رسول الله ﷺ وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره[1].

ـ التسامح في فتح مكة:

تحدثنا كتب التاريخ والسير عن الكثيرمن نماذج تسامح النبي ﷺ ، ومن ذلك ما قابل به أهل مكة ؛ أولئك النفر الذين عرف منهم من الأذى له ولمن آمنوا به ما لم يعرفه أحد مثله ؛ لقد بهرهم بسماحته وتجاوزه لهم عن سوء عملهم ، قديمه وحديثه ؛ وهو ما تجسد في الحوار القصير الذي جرى بينهم وإياه : فقد قال رسول الله ﷺ: «مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟» قَالُوا : خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، فكان جوابه لهم: إني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ

(١) سيرة ابن هشام، ت مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، ١/ ٥٠١-٥٠٤، مطبعة الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]، «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[2].

ولم تقتصر رحمته بهم عند هذا الحد وإنما تجلَّت في مواقف أخرى ؛ ففي الليلة التي سبقت دخول المسلمين مكة التقى عمه العباس بأبي سفيان ، فاصطحبه معه إلى حضرة رسول الله ﷺ الذي أجرى معه حوارات في منتهى اللباقة والتربوية ، وفي الصباح تركه ليلحق بأهل مكة ؛ وقبل انطلاقه قال العباس للرسول ﷺ: «إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا»؛ فقال ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابهُ فَهُوَ آمِنٌ»[3]، كما أمر النبي ﷺ قادة جيشه بألا يعملوا السيف ، وألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، ثم إنه لما دفع راية الأنصار إلى سعد بن عبادة (رضي الله

---

(١) يوسف، الآية: ٩٢.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب السير، باب فتح مكة ، حديث رقم: ١٨٢٧٦، وحديث رقم: ١٨٢٧٥.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ، حديث رقم: ١٧٨٠.

عنه) نُسب لسعد أنه قال: «يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة»[1]؛ فشكا أبو سفيان ذلك إلى العباس فبلغ الأمر النبي ﷺ فكان رده: «يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة»، ثم دفع الراية إلى علي بن أبي طالب إمعانًا في طمأنتهم وتثبيتًا لهم[2].

ـ صحيفة نجران:

وفيما يلي بعض ما جاء في هذه الوثيقة:

- ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وصلواتهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وألا يغيروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف عن أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، وليس عليهم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، حديث رقم: ٤٢٨٠.

(٢) مغازي الواقدي، ٢/ ٨٢٢، ت مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

دنية ولا دم جاهلية ولا يحشرون ولا يُعْشَرُونَ ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقًّا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين.

- وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله تعالى وذمة محمد رسول الله ﷺ أبدًا حتى يأتي الله بأمره ، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليه غير مثقلين بظلم[1].

- عهد مدينة القدس:

هذا بعض ما جاء في عهد أهل بيت المقدس الذي أعطاه لهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

- هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، وكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها، إنه لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولايضارّ أحد منهم.

---

(١) سبل الهدي والرشاد، ٦/ ٤٢٠.

- وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله، وذمّة الخلفاء، وذمّة المؤمنين[1].

هذا هو التسامح الإسلامي كما نصت عليه نصوصه المقدسة، وكما طبقه الرسول ﷺ وخلفاؤه (رضي الله عنهم)، ومن سار على هديهم.

* * *

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٦٠٩.

المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية (*)

لا شك أن ديننا الحنيف مفعم بالقيم الإنسانية ، سواء في أخلاقه أم في تشريعاته، فعندما كرَّم الإسلام الإنسان كرَّمه على أخلاقه الإنسانية بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو عرقه، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾(١)، ولم يقل: كرمنا المسلمين وحدهم ، أو المؤمنين وحدهم ، أو الموحدين وحدهم ، وكان نبينا ﷺ يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ"(٢).

وقد أجمعت الشرائع السماوية على جملة كبيرة من القيم والمبادئ الإنسانية ، من أهمها : حفظ النفس البشرية ، قال تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ مَن

(*) أ.د/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(١) الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، الأخلاق، من الأخلاق الحميدة التواضع، ١٠/ ٤٨.

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

وعندما حرم الإسلام قتل النفس حرم قتل كل نفس، وأي نفس، وعصم كل الدماء ، فقال الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[2]، ويقول نبينا ﷺ: "لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا"[3]، وعندما رَأَى رَسُولُ الله ﷺ امْرَأَةً كَافِرة عَجُوزًا مَقْتُولَةً فِي سَاحَةِ الْقِتَال، قَالَ ﷺ: "مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ" [4]، بما يعني أنه لا يوجد في الإسلام قتل على

(١) المائدة، الآية: ٣٢.

(٢) المائدة، الآية: ٣٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الديات، بَاب قَوْلِ الله تَعَالَى :{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ } ، حديث رقم: ٦٨٦٢ .

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل النساء، حديث رقم: ٢٦٦٩ .

المعتقد ، إنما يكون القتال لردِّ العدوان ، ولما مَرَّتْ بِهِ ﷺ جَنَازَةٌ، فَقَامَ، فَقِيلَ: إِنَّه يَهُودِيٌّ ، فَقَالَ: "أَلَيْسَتْ نَفْسًا"؟!(١).

ومن القيم التي أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها: العدل ، والتسامح ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، والصدق في الأقوال والأفعال ، وبرّ الوالدين ، وحرمة مال اليتيم ، ومراعاة حق الجوار، والكلمة الطيبة ؛ وذلك لأن مصدر التشريع السماوي واحد ، ولهذا قال نبينا ﷺ : "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"(٢).

فقد تختلف الشرائع في العبادات وطريقة أدائها وفق طبيعة الزمان والمكان ، لكن الأخلاق والقيم الإنسانية التي تكون أساسًا للتعايش لم تختلف في أي شريعة من الشرائع ، يقول نبينا ﷺ : "إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ"(٣).

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة ، حديث رقم: ٦٩١.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، حديث رقم: ١٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، حديث رقم: ٦١٢٠.

وأروني أي شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين، أو أكل السحت، أو أكل مال اليتيم، أو أكل حق العامل أو الأجير.

وأروني أي شريعة أباحت الكذب، أو الغدر، أو الخيانة، أو خُلف العهد، أو مقابلة الحسنة بالسيئة.

بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية، من خرج عليها فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية وينسلخ من آدميته ومن الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

ولهذا قال ابن عباس (رضي الله عنهما) عن قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔٗاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنٗاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]: هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب، وهي محرمات على بني آدم جميعًا، وهنَّ أم الكتاب، أي: أصله وأساسه، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

ومن خلال هذه المشتركات الإنسانية في الآيات سالفة الذكر من سورة الأنعام يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى التسامح في أوسع أبوابه، إذ لا ينبغي أن يقتصر التسامح في حياتنا على مجرد قبول الآخر، بل يتجاوزه إلى إنصافه، وإلى إنصاف بعضنا بعضًا بغض النظر عن الدين ، أو اللون ، أو الجنس، أو العرق ؛ فالمشتركات التي تضمنتها الآيات الكريمة جاءت عامة، ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ

(١) الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٣.

بِٱلْقِسْطِ﴾ ليس للمسلمين وحدهم ، ولا للمؤمنين وحدهم ، ولا للموحِّدين وحدهم، بل للناس عامة ، وكذلك ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ مع أي أحدٍ بغض النظر عن دينه ، أو لونه ، أو جنسه ، أو عرقه.

وقد علَّمنا ديننا الحنيف أن نفي بالعهد مع الناس جميعًا، فقد جاء قوله تعالى:﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[1] عامًّا مع الجميع بغض النظر عن دينهم أو جنسهم أو لغتهم؛ حيث يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ﴾[2]، وقد كانَ بينَ معاويةَ وبينَ الرُّومِ عَهْدٌ ، وَكانَ يسيرُ نحوَ بلادِهِم حتَّى يَنْقضُوا العَهْد فَيُغِير عَلَيْهم ، فجاءَ رجلٌ على فرسٍ وَهوَ يقولُ : الله أَكْبرُ ، الله أَكْبرُ ، وفاءٌ لا غدر ، فنظَروا فإذا هو عمرُو بنُ عَبسةَ ، فأرسلَ إليهِ معاويةُ فسألَهُ ، فقالَ : سَمِعْتُ رسولَ الله (صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ) يقولُ : من كانَ بينَهُ وبينَ قومٍ

(١) النحل، الآية: ٩١.

(٢) الأنفال، الآية: ٥٨.

عَهْدٌ فلا يَشدُّ عقدةً ولا يَحلُّها حتَّى ينقضيَ أمدُها، أو ينبِذَ إليهم على سواءٍ، فرجعَ معاويةُ[1].

كما علَّمنا ديننا الحنيف أن نقول الكلمة الطيبة للناس جميعًا بلا تفرقة ، فقال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2]، بل نحن مطالبون أن نقول التي هي أحسن ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، ويقولون: البر شيء هين؛ وجه طلق وقول لين، ويقول الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4]، وفى تعاليم سيدنا عيسى (عليه السلام): "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر".

---

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه ، حديث رقم: ٢٧٥٩.

(٢) البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) الإسراء، الآية: ٥٣.

(٤) فصلت، الآيات: ٣٤، ٣٥.

فهي دعوة عظيمة للتسامح في كل الشرائع السماوية من خلال ترسيخ القيم الأخلاقية والمشتركات الإنسانية ؛ لكي تعيش البشرية فى سلام وصفاء ، لا نزاع وشقاق ، أو عنف وإرهاب.

* * *

التفاعل المتبادل والتواصل
بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى(*)

لم يعرف التراث الفكري الإنساني عبر تاريخه الطويل مباحث تُعنى بالتفاعل والتبادل والحوار بين الحضارات والثقافات تسبق ما قدمه المسلمون ؛ حيث انفرد المسلمون بسبقهم إلى الاشتغال بما يعرف اليوم بالدراسات المقارنة ، سواء على مستوى الأديان والملل والنحل ، أو على مستوى الحضارات المتعاقبة ، أو على مستوى الدراسات المقارنة وثيقة الصلة بهذه المباحث.

ولعل أقرب ما يرد إلى الذهن من أسماء رواد الفكر الإسلامي الذين عنوا بهذين الموضوعين: ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، وابن خلدون في مقدمته وفي تاريخه، ولا يسجل لنا تاريخ الفكر الإنساني القديم أي بادرة قام بها مفكر أو مؤرخ أو مصنف من غير المسلمين في مثل هذه الموضوعات.

(*) أ.د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري ، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» السابق.

ومما لا شك فيه أن مواصلة بحث القضايا المتعلقة بالتفاعل المتبادل والتواصل والحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى من الواجبات التي لا مندوحة لنا عن القيام بها ؛ أداءً لأمانة العلم ، وتبليغًا لرسالة الإسلام ، وإسهامًا منا في إشاعة روح التسامح والتعاون الإنساني ، والعمل على استقرار العالم واستتباب الأمن والسلم في ربوعه .

مفهوم التفاعل المتبادل:

التفاعل هو عملية تبادل في الأساس وإنما اقترن هنا التفاعل بالتبادل على سبيل التأكيد وتعميق المفهوم ورسم الصورة الواضحة لهما في الأذهان ، ومن المعاني التي ينطوي عليها مصطلح التفاعل ثلاثة معان بالغة الدلالة عميقة المضمون ، هي:

١- ممارسة الفعل ، وهذا الفعل لابد وأن يكون فعلًا مؤثرًا منتجًا تنعكس آثاره الإيجابية على الواقع المعيش ، ويتجاوب معه المجتمع ، وينفعل به ، وبذلك يحصل التفاعل ، وليس كل فعل مؤثرًا وفاعلًا ، فقد يكون الفعل سلبيًّا للغاية وذا مردود عكسي ، ومعاكسًا لإرادة المجتمع ، فيؤدي إلى تفاعل سلبي لا يُعتدّ به ، ولا

قيمة له بأي حال من الأحوال.

٢- التعبير عن إرادة الخير التي تحدو الفاعل ، والتي تقوده إلى جلب المنافع ، ودرء المفاسد ، وتحقيق المصالح العليا للجماعة الإنسانية التي ينتمي إليها.

٣- عمق التأثير ، فالتفاعل بين الحضارات هو أعمق أثرًا، وأبقى على الدهر؛ لأنه تلاقح حضاري ناتج عن امتزاج ثقافي وتعايش إنساني، وهو أهم أنواع التفاعل لارتباطه بالمستقبل، باعتبار أن التفاعل الحضاري هو توجه نحو المستقبل؛ لأنه يحقق التواصل بين الحضارات والثقافات، والتعايش بين الأمم والشعوب.

ونخلص من ذلك إلى أن (التفاعل المتبادل) هو الوسيلة الوحيدة إلى التواصل بين الحضارات لتحقيق ما فيه الخير للإنسانية في كل العصور.

مفهوم التواصل:

التواصل هو نتيجة لإرادة مشتركة بين طرفين فأكثر، وهو الذي يفضي إلى التعاون لتحقيق المصالح المشتركة ، ولا يكون

التواصل إلا لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف، ولذلك فإن التواصل قد يكون إيجابيًّا نافعًا ، وقد يكون سلبيًّا ضارًّا.

والتواصل الإيجابي فعل متحضر؛ لأنه يهدف إلى إقامة جسور اللقاء والتقارب مع الطرف الآخر، ولأنه نزوع نحو تقوية وشائج القربى الحضارية، وتمتين أواصر التلاقي على طريق الخير الذي تعم منافعه الإنسانية قاطبة.

التفاعل الحضاري:

إن التفاعل الحضاري سنة من سنن الخلق ، وصبغة الله في كل حضارة من الحضارات الإنسانية المتعاقبة ، ولقد كانت الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها وذروة تألقها نموذجًا لهذا التفاعل، بالمعنى الدقيق للكلمة.

وقد صَوَّر القرآن الكريم طبيعة العلاقات الحضارية من خلال ثلاث آيات ، هي:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

(١) البقرة، الآية:٢٥١.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2].

فالناس، ومن ثَمَّ الحضارات التي هي نتاج إنساني، تتدافع، ولا شك أن هذا التدافع نتيجة الاختلاف، وهو في حد ذاته ضرورة للقضاء على الإفساد في الأرض، وهذا يؤكد بما لا يرقى إليه الشك أن القرآن الكريم جاء بقاعدة ذهبية للعلاقات بين الحضارات ، ذلك أن التفاعل وسط بين التواصل والتدافع ، كما أنه وسط بين الانغلاق والعزلة ، وبين التقليد والتبعية ، ومن ثَمَّ ينبغي علينا اكتشاف مساحة الخصوصية الحضارية المكونة

(١) الحج، الآية: ٤٠.

(٢) المائدة، الآية: ٤٨.

لهويتنا الحضارية ، والتي لابد من إحيائها ، والاستمساك بها، واكتشاف مساحة المشترك الإنساني العام في الإبداع الإنساني ، لا لنقبله فقط مع الآخرين ، بل لنسعى إلى امتلاكه ، وهذا هو منهج الوسطية الإسلامية الجامعة التي لا تقف ساكنة بين القطبين والطرفين ، وإنما تجمع منهما ما يمكن جمعه وتأليفه من عناصر الحق والثواب.

وهذه الوسطية الإسلامية الجامعة هي الخاصية المميزة للحضارة الإسلامية ، وهي التي جعلت منها حضارة متفاعلة مع الحضارات الإنسانية الأخرى على النحو الذي يشهد به العقلاء المنصفون من مؤرخي الحضارات الإنسانية وفلاسفتها ودارسيها ، من الشرق والغرب على السواء.

من خصائص الحضارة الإسلامية:

إن الحضارة الإسلامية نوعان ؛ حضارة إسلامية أصيلة وتسمى حضارة الخلق والإبداع ، وقد كان الإسلام مصدرها الوحيد، وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام ، وحضارة قام بها

المسلمون في الأمور التجريبية امتدادًا وتحسينًا كما عرفها الفكر البشري من قبل، وتسمي حضارة البعث والإحياء [1].

والحضارة الإسلامية بهذا المفهوم الجامع الشامل العميق، هي إرث مشترك بين جميع الشعوب والأمم التي انضوت تحت لوائها، وشاركت في بنائها، وأسهمت في عطائها، وهي الشعوب والأمم التي كونت وشائج الأمة الإسلامية ونسيجها المحكم.

فليست الحضارة الإسلامية حضارة جنس معين فتكون بذلك حضارة قومية تنتمي إلى قوم مخصوصين ، ولكنها حضارة جامعة شاملة للأجناس والقوميات جميعًا التي لها نصيبها في قيام هذه الحضارة، ودورها في ازدهارها وتألقها، وفي امتداد تأثيرها ونفوذها إلى العالم الذي كان معروفًا خلال القرون التي سطع فيها نجمها

(١) خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل ، د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص١٥، نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، الرباط، ٢٠٠٢م ، نقلًا عن موسوعة الحضارة الإسلامية ، د/ أحمد شلبي، ١/ ٥٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

واتسع إشعاعها وامتد نفوذها.

وتنفرد الحضارة الإسلامية بعدة خصائص تكسبها الطابع المميز لها بين الحضارات الإنسانية المتعاقبة في الماضي وفي الحاضر على السواء ، وهي:

١- حضارة إيمانية انبثقت من العقيدة الإسلامية ، فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها ، فهي حضارة توحيدية انطلقت من الإيمان بالله الواحد الأحد.

٢- حضارة إنسانية المنزع، عالمية في آفاقها وامتداداتها ، لا ترتبط بإقليم جغرافي ، ولا بجنس بشري ، ولا بمرحلة تاريخية ، ولكنها تضم جميع الشعوب والأمم ، وتصل آثارها إلى مختلف البقاع والأصقاع ، فهي حضارة يستظل بظلالها البشر جميعًا ، ويجني ثمارها كل من يصل إليه عطاؤها.

فالحضارة الإسلامية قامت على أساس الاعتقاد بأن الإنسان أهم مخلوقات الله (عز وجل)، وأن جميع الأنشطة البشرية لابد وأن تؤدي إلى سعادته ورفاهيته ، وأن كل عمل يقصد به تحقيق هذه

الغاية هو عمل في سبيل الله (عز وجل).

٣- حضارة معطاءة أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التي عرفتها شعوب العالم القديم ، وأعطت عطاءً زاخرًا بالعلم والمعرفة والفن الإنساني الراقي، وبقيم الخير والعدل والمساواة والفضيلة والجمال ، وكان عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء ، لا فرق بين عربي وأعجمي ، أو أبيض وأسود ، بل لا فرق بين مسلم وغير مسلم.

٤- حضارة متوازنة ؛ وازنت بين الجانب الروحي والجانب المادي في اعتدالٍ هو طابع من طوابع الفكر الإسلامي ، وميزة من مزايا الحضارة الإسلامية ، فلا تفريط ولا إفراط ، ولا غلو ولا انفلات ، ولا اندفاع في تهور ، وإنما هو الاعتدال الذي هو من صميم العدالة التي تقام في ظله موازين القسط.

٥- حضارة باقية بقاء الحياة على وجه الأرض ، تستمد بقاءها من الإسلام الذي قامت على أساس مبادئه ، وقد تكفل الله تعالى

بحفظ الدين الحنيف، وهي بذلك حضارة ذات خصوصيات متفردة ، فالحضارة الإسلامية لا تشيخ لتنقرض ؛ لأنها ليست حضارة قومية ، ولا هي عنصرية ، ولا هي ضد الفطرة الإنسانية، وهي بذلك حضارة دائمة الإشعاع تتعاقب أطوارها وتتجدد دوراتها.

وهذه الخصائص تكتسب طابع الديمومة والاستمرار من مبادئ الدين الحنيف ؛ لأنها نابعة منها ولصيقة بها ، وهي بذلك بمثابة الجوهر النفيس الذي لا يتبدل ولا يتغير وإن تبدَّلت الأحوال، فهي في تفاعل دائم مع خصائص الحضارات الأخرى ، وهذا التفاعل لا يفقدها جوهرها وخصوصياتها.

الحضارة الإسلامية في تفاعلها مع الحضارات:

إن الخصائص التي تتميز بها الحضارة الإسلامية لا تعزلها عن مجرى الحضارات الإنسانية الأخرى ، وإنما هي عناصر قوة تحفز إلى الحوار ، وتدفع نحو التعايش ، مما يجعل للحضارة الإسلامية مركز

ثقل وقوة جاذبية يوجهانها نحو التفاعل مع الحضارات ، والذي من شأنه أن يؤدي إلى التلاقح الذي ينتج عنه ما نسميه بالتجديد الحضاري.

وأعتقد أن للحضارة الإسلامية رسالة ومسئولية ودورًا في التجديد الحضاري على الصعيد الإنساني بصورة عامة ، فهذه الحضارة تمتلك العناصر الحيوية التي يتطلبها هذا التجديد للحضارات الإنسانية القائمة ؛ لأنها الحضارة المطبوعة بطابع الإسلام رسالة التوحيد والقسط والتعارف والتعاون إلى البشرية جمعاء ، في كل زمان ومكان.

إن الهدف من كل الجهود الحضارية هو النهوض بالإنسان نفسه، فإذا بقي على جهالته انتكس وتدهور ، فما قيمة الرقي المادي في ذاته إن لم ننجح في تحقيق الرقي الإنساني ، وهو العنصر الحيوي في الحضارة الإسلامية ؛ فهي حضارة إيمانية ، إنسانية في الصميم وفي مقاصدها وغاياتها.

إن الحضارة الإسلامية واقع معيش بحياة المجتمع الإسلامي،

واشترك في صنعها الإنسان المسلم وغير المسلم ممن يعيش في كنف المجتمع الإسلامي ويشكل جزءًا لا يتجزأ منه ، ولعل من المناسب أن نسوق هنا ما كتبه جورج سارتون - أشهر مؤرخ لمسيرة العلم- عن ريادة الحضارة الإسلامية وسبقها الحضارات الإنسانية الأخرى إلى التفاعل والتواصل فيما بينها، في جانب مهم من جوانبها، وهو الجانب العلمي، يقول سارتون : لا يسعنا إلا أن نعترف بالفضل لسابقينا من علماء العرب والمسلمين ، وخاصة الروَّاد منهم في الفترة من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر، لقد نقلوا لنا كنوز الإغريق وحكمتهم ، كما نقلوا لنا كثيرًا من كنوز العلم والمعرفة ، وأضافوا ما لديهم هم إلى كل ذلك[1]، وهذا الاعتراف من عالم غربي مشهود له بسعة العلم وبالفهم العميق لرسالة الحضارات المتعاقبة، يؤكد ما نقوله من أن الحضارة الإسلامية قائمة على التفاعل والتواصل.

---

(١) ينظر : الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته ، جورج سارتون ، ص١٤٠بتصرف ، تحرير : ت كويلرينج ، سلسلة الألف كتاب ، ترجمة د/ عبد الرحمن محمد أيوب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢، ٢٠٠٠م.

وختامًا.. فإننا نؤمن بأن الحضارة الإسلامية هي حضارة المستقبل، لا يخامرنا في ذلك شك، ولكننا نؤمن أيضًا بأن واقع الأمة الإسلامية يتطلب منا أن نضاعف الجهد إلى أقصى مستوى؛ لأن المستقبل لا يُبنَى بالتغني بالأمجاد ، ولكن يبنى بالعمل والإبداع والتفوق في كل المجالات.

* * *

نحو بلورة معاصرة
للعلاقة بين المسلمين وغيرهم(*)

جعل الله الناس شعوبًا وقبائل وأجناسًا شتى، وأوجب عليهم التعاون لإعمار الكون، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾(1)، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(2)، ومن ثمَّ فإن الصورة في الفكر الإسلامي تجاه الآخر واضحة المعالم حددها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي علاقة تعاون وتكامل لا علاقة صراع واقتتال.

العلاقة بين المسلمين وغيرهم:

تقوم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أسس أرساها الدين الإسلامي وهي أسس السلام، فالسلام هو الأصل في العلاقة بين

(*) أ.د/ جعفر عبد السلام (رحمه الله)، أستاذ القانون الدولي، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية سابقًا.

(1) الحجرات، الآية: ١٣.

(2) المائدة، الآية: ٢.

المسلمين وغيرهم ، وقد اتفقت الدراسات على أن التحديات الحضارية التي تواجه المسلمين في الحاضر والمستقبل تتمثل في ضرورة التعامل مع الآخرين من منطلق القدرة والفهم العميق لما لديهم، كما اتفقت على أهمية التواصل الحضاري بين شعوب العالم، والأخذ والعطاء في مختلف المجالات، وعدم الانغلاق على الذات، مع مراعاة عدم التفريط في المسائل المرتبطة بأصول عقيدة الإسلام وثوابته.

ويمكننا القول: إن هناك عدة وسائل فاعلة لبناء علاقة مثمرة وبنَّاءة بين المسلمين وغيرهم، ومن ذلك ما يلي:

١- الاهتمام بدراسة الحضارات المختلفة دراسة نقدية قوية للاستفادة من إيجابياتها وتجنب سلبياتها، وبالطبع فإن هذه الدراسة يجب أن تأخذ مكانها في دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

٢- إجادة اكتساب مهارات التعامل مع هذه الحضارات بالاحتكاك المتواصل بها، دون التفريط في المكونات الرئيسة للذات.

٣- إعداد أجيال قادرة على فهم مقومات الحضارات

المختلفة، وتعويد الأجيال على التعامل معها بمنطق القدرة الواعية، ولن يتسنى ذلك إلا إذا فهمت ووعت طبيعة الحضارة الإسلامية، والخصائص التي تقوم عليها.

٥- تشجيع الدراسات والبحوث المتصلة بأعلام المسلمين من العلماء والمفكرين؛ لإظهار عناصر القوة في الفكر الإسلامي، الذي قام على أساس من القيم الأخلاقية والتربية الإسلامية.

وهذه الرؤية يدعمها الفكر القانوني الدولي، ومنهج الشريعة الإسلامية بشأن العلاقة مع الآخر.

القانون الدولي:

يُميِّز فقهاء القانون الدولي بين فرعين من فروع هذا القانون، هما: القانون الدولي للتعايش ، والقانون الدولي للتعاون.

القانون الدولي للتعايش: ويشمل قواعد القانون الدولي التقليدي المعروفة ، والتي تنظم العلاقات الدولية على طريقة ضرورة إبعاد الدول عن بعضها البعض حتى لا تتقاتل، وهو قانون يتبنى مفهوم الصراع بوصفه عاملًا مؤسسًا ومحركًا لهذه العلاقات،

ومن ثمَّ فإن أفضل وضع للعلاقات الدولية هو أن تنظم كيف تبعد الدول عن بعضها البعض حتى تتعايش ولا تتقاتل، وقد نظم القانون الدولي التقليدي فكرة الحدود الواجب توافرها لكل دولة سواء في البر، أو في البحر، أو في الجو، والذي يقرأ هذا التنظيم بعناية يستنتج على الفور فكرة الحدود الآمنة ، أي ضرورة إيجاد مناطق حماية للدولة تقيها من أي عدوان يقع عليها.

إن فكرة التعايش تعني وضع الحد الأدنى من القواعد التي تكفل تنظيم العلاقات الدولية ، وتسيرها على أساس أن تعيش كل دولة داخل حدودها ولا تعتدي على غيرها من الدول الأخرى؛ لذا فإن قواعد القانون الدولي التقليدي تهتم بدراسة الدولة بوصفها شخصًا قانونيًّا له حق التمتع بالسيادة، وله حقوق تتفرع عنها كالحق في التفاوض، والحق في الإيفاد ، أي إرسال مبعوثين منها للدول الأخرى ؛ ثم الحق في الدفاع على أساس أنه حالة ضرورية قد تعيشها بعض الدول ، وهي حالة ينظمها القانون يجب أن يلتزمها الجميع من حيث التمييز بين الأهداف المدنية والأهداف

العسكرية ، والتمييز بين المقاتلين والمدنيين ، وكذلك التقيد في السلاح ، والتزام قواعد الإنسانية بمحاولة إبعاد الخصم عن ساحة القتال بكافة الطرق السلمية المشروعة[1].

القانون الدولي للتعاون: يقوم القانون الدولي للتعاون على فكرة الجماعية ، ويحاول أن يدعم الحاجات المشتركة بين الدول، ويبحث عن أفضل الأساليب الكفيلة بإشباعها، حيث لم يعد بالإمكان أن نكتفي ببيان كيف تبعد الدول عن بعضها البعض، وإنما يجب الاهتمام بتقريبها من بعضها البعض، لقد تغيرت طبيعة العلاقات الدولية، وزاد الارتباط بين الدول إلى الحد الذي جعل من التعاون المشترك بين الدول حاجة موضوعية، ومبدأ من مبادئ القانون الدولي العرفي، وهذا هو موضوع القانون الدولي للتعاون.

ميادين التعاون:

يمكن القول بأن ميادين التعاون تتسع لكي تشمل، ليس

---

(١) راجع في التفاصيل: مبادئ القانون الدولي العام، للمؤلف، ص ٨٠٠ وما بعدها، ط: ٦.

فقط النطاق السياسي بالمعنى الضيق لهذه العبارة ، وإنما تشمل عدة أنشطة تتضمن جزءًا من المسائل التي كانت تعتبر في النطاق الخاص للدولة، ومن ثمَّ فإن على الدول واجب التعاون في مختلف ميادين العلاقات الدولية من أجل المحافظة على السلم والأمن، ودعم الاستقرار والتقدم الاقتصادي الدولي والرفاهية العامة للدول.

وإذا كان هناك اتفاق بين الدول باتساع دائرة التعاون وشموله لمختلف العلاقات الدولية إلا أنها قد بحثت عن الحقول التي يبدو التعاون فيها أكثر ضرورة ، وقد رأت أن أول وأشمل حقول التعاون هو ذلك الخاص بالمحافظة على السلم والأمن الدوليين؛ ومن ثم هو الهدف الشامل لكل نظام الأمم المتحدة.

واتفقت الدول بعد ذلك على ضرورة أن تولي التعاون الدولي في نطاق حماية حقوق الإنسان أولوية خاصة، وهذا ما أكد عليه ميثاق الأمم المتحدة الذي نص على أن الدول سوف تتعاون من أجل دعم الاحترام العالمي ، وتنفيذ الحقوق الإنسانية للجميع، وإزالة كل صور التفرقة العنصرية ، وكل صور التعصب الديني،

وأن الدول سوف تسير في علاقاتها الدولية ، في الحقول الاقتصادية، والاجتماعية ، والفنية ، والتجارية ، وفقًا لمبدأ المساواة في السيادة، وعدم التدخل.

كما نص على التزام الدول بالتعاون في هذه الحقول، لتحقيق التقدم الثقافي والتعليمي الدولي، ولتحقيق النمو الاقتصادي على مدى العالم كله، وعلى الخصوص في نطاق الدول المختلفة، وأن تلتزم الدول الأعضاء باتخاذ التدابير المنفردة أو المشتركة لتحقيق هذه الأهداف[1]. وكما هو واضح فإن هذه الأفكار تتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

التعاون الإنساني في مفهوم الفقه الإسلامي:

التعاون في الإسلام مبدأ عام في كل الجماعات الإنسانية كما قرره القرآن الكريم ، فقد جاء في سورة المائدة الحث على التعاون المطلق على البر، ومنع التعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ

(١) انظر: ميثاق الأمم المتحدة ، www.un.org.

عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[1].

وإذا كان التعاون قوام الأسرة وقوام الأمة ، فقد جاءت النصوص الدينية الإسلامية لتعميم التعاون في داخل الإقليم الواحد، وفي نطاق الإنسانية ، كما وردت العديد من الأحاديث النبوية التي تحث المسلمين على التعاون مع بعضهم البعض، ومع كل من يعيش معهم في المدينة.

ولقد طبَّق رسول الله ﷺ مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة المنورة ؛ حيث عقد مع اليهود حلفًا أساسه التعاون على البر، وحماية الفضيلة ، ومنع الأذى ، وأكد ذلك بالمواثيق، وكان أساس هذا التعاون أن يتضافروا على دفع الاعتداء وإقامة الحق، وهو ما يسمى في هذا العصر بالتعايش السلمي.

وكان النبي ﷺ يعقد المعاهدات مع القبائل العربية ؛ لإيجاد تعاون إنساني من شأنه إعلاء المعاني الإنسانية ، وكان يحثّ على كل تعاون علي الخير ويؤيده ، وقد كان ﷺ من مبادئه التعاون على

(١) المائدة، الآية: ٢.

نصرة الضعيف، وقد حضر وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره حلفًا لبعض أشراف قريش عُقِد في دار عبد الله بن جدعان، تعاقدوا فيه لينصرن الضعيف على القوي ، فسُرَّ ﷺ لذلك سرورًا ظهرت آثاره من بعد، فقد قال الهادي الأمين ﷺ:«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»[1].

وقد توصل الباحثون الثقات من الغربيين بعد دراسة مبادئ الشريعة الإسلامية إلى أن أحكام الشريعة الإسلامية في المسائل الدولية يمكن الاستفادة منها وخاصة في مجالين رئيسين؛ إذ إن الشريعـة الإسلامية غنية بالمسائل التي تتصل بهذين المجالين، وهما:

١- تطوير أحكام القانون الدولي في شأن مركز الفرد فيه، والاعتراف به كشخص من أشخاص القانون الدولي.

٢- إدخال المبادئ الأخلاقية في القانون الدولي.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، جماع أبواب تفريق الخمس، باب إعطاء الفيء على الديوان، حديث رقم: ١٣٠٨.

والواقع أن إسهام الشريعة الإسلامية في هذه المسائل والمجالات كان واضحًا؛ فلقد عرف المسلمون التمييز في المعاملة بين المحاربين وغير المحاربين وقت الحرب، ووضعوا نظامًا عادلًا لمعاملة الأسرى والرهائن والمدنيين والنساء والشيوخ والأطفال[1]، كما أنهم وقت السلم أقاموا صرح العلاقات التجارية والاقتصادية بينهم وبين غيرهم على قواعد سليمة، وعرفوا حرمة الرسل، والمعاهدات، ووسائل تسوية المنازعات؛ لذا فإن تقارب الدول وتعاونها وبلورة علاقة معاصرة بين المسلمين وغيرهم لا يكون إلا من خلال علاقة قائمة على التسامح والتعاون لعمارة الأرض وتنمية الإنسان، وهو ما دعت إليه الشريعة الإسلامية منذ أربعة عشر قرنًا، وتوصلت إليه ورسخته القوانين الدولية في العصر الحديث.

* * *

(١) Jessup, Amodern law or Nations, Nerw Yord, 1948, p. 273.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	تقـــديـــم . أ.د/ محمد مختار جمعـة ، وزيـر الأوقـاف ، رئـيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.	٥
٢.	التسامح الإسلامي في نصوص الشرع الشريف. أ.د/ علي جمعة محمد عبد الوهـاب، المفتـي السـابق لجمهورية مصر العربية، وعضو هيئة كبار العلماء.	٩
٣.	التسامح في الإسلام نصوص من الكتاب والسنة سماحة الشيخ/ عز الدين الخطيب التميمـي (رحمـه الله)، وزيـــر الأوقـــاف والشـــئون والمقدســـات الإسلامية سابقًا، المملكة الأردنية الهاشمية.	٣٤
٤.	التسامح . سماحة الشـيخ/ حاتم محمـد حلمـي، وزيـر الأوقـاف، فلسطين.	٤٧

م	الموضوع	الصفحة
٥.	التسامح الإسلامي بين النظرية والتطبيق . أ.د/ محمد رشيد إبراهيم ، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سابقًا، جمهورية المالديف.	٥٦
٦.	التسامح الإسلامي بين الحقيقة والافتراء . أ.د/ محمد البشاري ، أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي.	٦٤
٧.	التسامح الديني بين الفهم السليم والوهم السقيم الشيخ/ خالد عبد المحسن الجندي، عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.	٧٤
٨.	التعليم وتعزيز التسامح الديني والتعايش السلمي . سماحة الدكتور/ خالد بن خليفة آل خليفة، رئيس مجلس أمناء مركز الملك حمد العالمي للتعايش السلمي.	٨٩

م	الموضوع	الصفحة
٩.	التسامح الديني ووسطية الإسلام . أ.د/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود.	٩٣
١٠	التسامح في الحضارة الإسلامية . أ/ أحمد ولد محمد الأمين النيني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى سابقًا، جمهورية موريتانيا.	١١٦
١١	المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية . أ.د/ محمد مختار جمعة ، وزير الأوقاف ، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.	١٢٩
١٢	التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى . أ.د/ عبد العزيز بن عثمان التويجري ، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو» السابق.	١٣٧

م	الموضوع	الصفحة
١٣	نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين المسلمين وغيرهم أ.د/ جعفر عبد السلام (رحمه الله)، أستاذ القانون الدولي، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية سابقًا.	١٥٠
*	فهرس الموضوعات.	١٦٠

* * *

الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي: